حديث القرآن الكريم

عن قصة داود وسليمان عليهما السلام

لقوله تعالى ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ ....﴾

إلى قوله تعالى ﴿ وَمِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ (٨٢) ﴾

(الأنبياء ٧٨-٨٢)

دراسة تحليلية موضوعية

إعداد

الدكتورة / أمورة السيد إبراهيم السيد

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بالمنصورة

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنبياء٧٨-٨٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، الملك السلام، المهيمن العلام، شارع الأحكام، ذي الجلال والإكرام، الذي أنزل القرآن بحسب المصالح منجماً، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً، وأوحاه على قسمين: متشابهاً ومحكماً، فسبحان من استأثر بالأوّلية والقدم ،ووسم كل شيء سواه بالحدوث والعدم ،ومنّ علينا بنبيّنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرّق بين الحلال والحرام، والصلاة والسلام على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القاسم محمد النبي الأميّ ، وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام، عدد ساعات الليالي والأيام، وعلى آله الأطهار وخلفائه وجميع المهاجرين والأنصار وعلى بقية الصحابة الأخيار، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين آناء الليل وأطراف النهار.

أما بعد

فإن الله جلّ ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيراً للمؤمنين ونذيراً للمخالفين، مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية ، أعجز الخليقة عن معارضته وعن الإتيان بسورة من مثله ، ثم سهّل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسّر على الألسن قراءته، وإن أعظم ما تتنافس فيه الأمم هو العلم، وأجلها و أرفعها ، هي العلوم الشرعية و المعارف الدينية وعلم التفسير من بينها أعلاها شأناً ، فتفسير القرآن مهمة من المهمات التي كلف الله بها نبيه ﷺ .

وقد جمع الصحابة في تلقيهم القرآن من النبي ﷺ بين حفظه وتعلم أحكامه، وفهم معانيه ، والعمل بما فيه ، وعلى نهجهم سار التابعون وتابعوهم .

ومن هنا فقد استقر اختياري لهذا الموضوع .

أسباب اختياري لهذا الموضوع :

١- الاقتداء بالسلف الصالح ﷺ فإنه من الواجب على المسلمين أن يشغلوا أنفسهم بفهم كتاب الله تعالى ، وتدبر معانيه ،والعكوف على دراسته ليلاً و نهاراً لبيان ما فيه من حكم و أحكام ، كما فعل السلف الصالح .

٢- رجاء ثواب العلي العظيم ، ونيل شرف المشاركة في تفسير بعض آي القرآن الكريم ، وبيان إعجازه.

٣- بيان أهمية العدل ؛إذ هو أساس الملك ، وقد وقع اختياري على هذه القصة لهذين النبيين لأن الله قد جمع لهم بين الملك والنبوة (خير الدنيا و الآخرة)، فأقاموا شرع الله ،أعطوا حق الله من العبادة وغيرها وراعوا حقوق العباد من إقامة العدل بين الناس ، وتحري ما فيه مصالحهم الدينية والدنيوية .

٤- شدة الحاجة إلى مثل هذه الأبحاث التي تغلق الباب في وجه أعداء الإسلام

الذين يزعمون أن القرآن كان صالحاً لمن نز ل عليهم ،و لمن هم قريبي عهد بهم ، أما العصر الحديث عصر الاكتشافات العلمية ، والتقدم التكنولوجي فهو غير صالح لهم ؛ حيث إن في هذه الآيات دلالة ظاهرة وحجة واضحة على صلاحية الرسالة المحمدية لكل زمان ومكان .

كما أن هذين النبيين قد وردت روايات دخيلة في شأنهم ، وقد اقتصرت على الروايات الصحيحة ، وعدم الالتفات للروايات الإسرائيلية الدخيلة .

٥- أن ما توصل إليه العلماء من اكتشافات علمية ، وما سيتم اكتشافه في المستقبل قد أشار إليه القرآن الكريم بأدق وأبلغ العبارات وأوجزها .

٦- بيان عظم نعم الله على نبينا محمد ﷺ ، وما أيده به من معجزات ، والتي من أبرزها ، وأفضلها معجزة القرآن الكريم ، وبيان أن المعجزات التي أيد الله بها نبيه سليمان معظمها قد أوتيها نبينا عليه أفضل الصلاة و السلام ، وقد استفاد العلماء من هذه المعجزات في العصر الحديث ، فعلى سبيل المثال قد أشار القرآن إلى الريح التي حملت سيدنا سليمان رخاءاً حيث أصاب ،وقد اهتدى العلماء إلى صنع الطائرات في العصر الحديث كوسيلة مواصلات سريعة ،بل هي أسرع وسائل المواصلات على الإطلاق، وهم لم يتوصلوا إليه إلا بعد عدة تجارب ، ولم يتوصلوا إليه مرة واحدة ، بل على فترات و مراحل فكأن هذه الفكرة قد أخذت من الآيات التي أشارت إلى حمل الريح لسليمان – عليه السلام – إن لم تكن قد أخذت منها بالفعل ، مع الفارق الكبير بينهما فالريح حملت سيدنا سليمان بتسخير الله تعالى إياها ، دون الخضوع لأسباب أو شروط معينة،بل كان ذلك أمراً خارقاً للعادة ، ولمألوف البشر ، إذ كان ذلك معجزة من معجزات سليمان – عليه السلام – ، وذلك بخلاف الطائرات التي تحتاج لقائد مدرب ماهر يقودها ،

كما أنها تصنع بكيفية خاصة وشروط معينة حتى تقوم بالمهمة التي أنيطت بها في أمن وسلام ،ونحو ذلك .

كذلك الحكم الاستئنافي الذي يكون بعد الحكم الابتدائي أخذ من حكم سيدنا سليمان الذي وقع بعد حكم سيدنا داود..... إلى غير ذلك مما يظهر في ثنايا البحث .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من التمهيد ،يتبعه التعريف بداود وسليمان –عليهما السلام –،ثم التفسير ، يعقبهما الخاتمة ، ثم فهرس المراجع .

أولاً : التمهيد ، ويشتمل على:

١- اسم السورة ووجه تسميتها بسورة الأنبياء.

٢- وقت نزولها.

٣- عدد آيها.

٤- ترتيبها .

٥- فضلها.

٦- محورها

ثانياً: التعريف بداود وسليمان – عليهما السلام- .

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات ،وقد اشتمل التفسير على عدة نقاط أساسية ألا وهي :

أ) مناسبة الآيات لما قبلها.

ب) بيان معاني المفردات الغريبة .

ت) القراءات.

ث) شرح الآيات الكريمة .

ج) الإعراب.

ح) النكات البلاغية .

رابعاً: الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج ،والتوصيات.

خامساً: فهرس المراجع(المصادر) .

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده فله الفضل والمنة والحمد، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان ، وأسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقني الإخلاص في القول ، والعمل ، وفي السر والعلن ، وأن يبلغني رضاه ، وأن يجعل هذا العمل مقبولاً إنه سميع مجيب .

أولاً :التمهيد ، ويشتمل على :

١- اسم السورة ووجه تسميتها بسورة الأنبياء.

٢- وقت نزول السورة .

٣- عدد الآيات.

٤- ترتيب السورة .

٥- فضل السورة .

٦- محور السورة .

أولاً : اسم السورة ووجه التسمية.

اسم السورة علم عليها، و هو الذي يميزها عن غيرها ، ولئن تعددت أسماء بعض السور فإنه لا تخلو سورة من اسم لها سماها به رسول الله ﷺ قال الطبري:(لسور القرآن أسماء سماها بها رسول الله ﷺ)[١].

وقال السيوطي : (قد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار)[٢] . و قال الطاهر بن عاشور(أما أسماء السور فقد جعلت لها من عهد نزول الوحي)[٣]. فأسماء السور توقيفية ، وهذا هو الراجح .

وسورة الأنبياء سميت بسورة الأنبياء لاشتمالها على فضائل جليلة، لجماعة منهم عليهم السلام.[٤]

وجه التسمية:

ووجه تسميتها بذلك أنها ذكر فيها أسماء ستة عشر نبيا [٥]، ومعهم ذكرت مريم بالوصف لا بالاسم وذلك في قوله تعالى ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٦] ولم يأت في سور القرآن ذكر مثل هذا العدد من الأنبياء في سورة من سوره عدا ما في

---

١ جامع البيان لابن جرير الطبري (١/١٠٠)

٢ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٤٨)

٣ .التحرير و التنوير لابن عاشور (١٧ /٥)

٤ محاسن التأويل للقاسمي(٧/١٧٢)

٥ هم (حسب ترتيب ذكرهم في السورة) موسى وهارون ، إبراهيم ، إسحاق و يعقوب،لوط ، نوح ، داود و سليمان ،أيوب ، إسماعيل وإدريس و ذا الكفل ،يونس (ذو النون) ،زكريا ،يحي ، عيسى (و لم يذكر اسمه بل نسب إلى أمه) عليهم وعلى نبينا الصلاة و السلام .

٦ الأنبياء :٩١

سورة الأنعام فقد ذكر فيها أسماء ثمانية عشر نبيا مذكورة في قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَ إِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) ﴾ ولذا فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد سورة الأنعام من حيث ذكر عدد الأنبياء .

و السبب في ذلك أن سورة الأنبياء تناولت قصص الأنبياء بشيء من التفصيل في حين أن سورة الأنعام ذكرت أسماء الأنبياء فقط دون تفصيل ؛ وبناء على ذلك فذكر الأنبياء ليس غرضا أساسيا من أغراضها بخلاف سورة الأنبياء ، و لعل هذا هو السبب في اختصاص سورة الأنبياء بهذه التسمية ، حيث إن أغراضها تدور حول التوحيد، وإثبات البعث الذي أنكره أعداء الأنبياء، وتقديم القدوة و السلوى للداعية إذا وجد صدودا من المدعوين أن يستمر في دعوته و لا ييأس، وأن يصبر على أعباء الدعوة الثقيلة، وعلى الابتلاء بالخير و الشر سائرا على نهج الأنبياء، فذكر الأنبياء في سورة الأنبياء جاء في صلب موضوع السورة ؛ لذا اختصت بهذه التسمية ، بالإضافة إلى أن اختصاص سورة الأنعام بذكر أحكام الأنعام أوجب تسميتها بهذا الاسم فكانت سورة الأنبياء أجدر من بقية سور القرآن بهذه التسمية، على أن من الحقائق المسلمة أن وجه التسمية لا يوجبها[1] .

---

١ التحرير والتنوير لابن عاشور (٥/١٧) .

ثانياً : وقت نزول السورة .

هذه السورة مكية بالاتفاق و حكي بعضهم الإجماع على ذلك[1] ،ونقل السيوطي في «الإتقان» استثناء قوله تعالى ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤) ﴾[2] ، ولم يعزه إلى قائل. ولعله اعتمد في ذلك على أن المعنى ننقصها بفتح البلدان، بناء على أن المراد من الرؤية في الآية الرؤية البصرية، وأن المراد من الأرض أرض الحجاز، وأن المراد من النقص نقص سلطان الشرك منها. فالمراد بنقصان الأرض: نقصان من عليها من الناس لا نقصان مساحتها لأن هذه السورة مكية فلم يكن ساعتئذ شيء من أرض المشركين في حوزة المسلمين، والقرينة المشاهدة[3] .

ونقصان عدد المشركين يكون بدخول كثير منهم في الإسلام ،ويوجد نظير لهذه الآية في سورة الرعد وهي قوله تعالي ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) ﴾[4] وهي أيضا مكية فالأرجح أن سورة الأنبياء مكية كلها.

ثالثًا: عدد آيات السورة .

سُوَرُ الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: قِسْمٌ لَمْ يُخْتَلَفْ فِيهِ لَا فِي إِجْمَالٍ وَلَا فِي تَفْصِيلٍ، وَقِسْمٌ اخْتُلِفَ فِيهِ تَفْصِيلًا لَا إِجْمَالًا، وَقِسْمٌ اخْتُلِفَ فِيهِ إِجْمَالًا

---

١ المحرر الوجيز(٧٣/٤) ، القرطبي (٢٦٦/١١) ،البحر المحيط (٤٠٦/٧) ، محاسن التأويل (١٧٢/٧).

٢ الأنبياء: ٤٤

٣ التحرير والتنوير (٥/١٧)

٤ الرعد: ٤١

وَتَفْصِيلًا، وسورة الأنبياء من القسم الثالث ؛ ولذا فعَدَدُ آيهَا فِي عَدِّ أَهْلِ الْكُوفَةِ اثنتا عشرَة ومائة. و عند غيرهم إِحْدَى عشرَة و مائة، واخْتَلَفَ في عد الْآيِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ عَدَدَانِ: عَدَدٌ أَوَّلٌ وَهُوَ عَدَدُ أَبِي جَعْفَرٍ يَزِيدَ بْنِ الْقَعْقَاعِ [١]، وَشَيْبَةَ بْنِ نِصَاحٍ [٢] وَعَدَدٌ

---

١ أَبُو جَعْفَرٍ القَارِئُ: يَزِيْدُ بنُ القَعْقَاعِ المَدَنِيُّ، أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة اسمه يزيد بن القعقاع وقيل فيروز وقيل جندب بن فيروز والأول أشهر روى عن مولاه وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وجابر وزيد بن أسلم وهو من أقرانه ودخل على أم سلمة وهو صغير فمسحت على رأسه وعنه نافع ابن أبي نعيم القاري ومالك وعبيد الله بن عمر وإسماعيل بن جعفر وآخرون قال ابن معين والنسائي ثقة وقال أبو حاتم صالح الحديث وقال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث وكان إمام أهل المدينة في القراءة فسمى القاري لذلك وتوفي في خلافة مروان بن محمد و قد حكى عن أبي موسى أنه مات سنة سبع وعشرين ومائة وقال خليفة بن خياط العصفري مات سنة ثلاثين ومائة.ينظر طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم لعبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (٧٣)،شرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري (١٢/١) لوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم (شرح واف لمتني الجزرية وتحفة الأطفال) لأحمد محمود عبد السميع الشافعى الحفيان(١٧٣/١) ، مقدمات في علم القراءات لمحمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور (معاصر)(١٠١/١) .

٢هو شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب إمام ثقة مقرئ المدينة مع أبى جعفر وقاضيها ومولى أم سلمة رضى الله عنها مسحت على رأسه ودعت له بالخير، وقال الحافظ أبو العلاء هو من قراء التابعين الذين أدركوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة زوجى النبى صلى الله عليه وسلم ودعتا الله تعالى له أن يعلمه القرآن وكان ختن أبى جعفر على ابنته ميمونة. انتهى. وهو أول من ألف فى الوقوف وكتابه مشهور، مات سنة ثلاثين ومائة فى أيام مروان بن محمد وقيل سنة ثمان وثلاثين ومائة فى أيام المنصور. ينظر شرح طيبة النشر في القراءات العشر للنويري (١٦٤) ، القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) (٥٩/١) .

آخَرُ وَهُوَ عَدَدُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ [١] ، وَأَمَّا عَدَدُ أَهْلِ مَكَّةَ فَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَأَمَّا عَدَدُ أَهْلِ الشَّام فمروي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ [٢]وسبب هذا الاختلاف يرجع إلى الاختلاف عند قوله تعالى

(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)) [٣]

فمن اعتبر أن قوله تعالى(أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) مقول القول لقوله(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ) اعتبرها آية واحدة،ومن لم يعتبرها كذلك فهي عنده آيتان .ومعظم المفسرين اعتبروا هذه الآية ليست مقولاً للقول ، ولذلك اعتبروا

---

١ إِسْمَاعِيل بْن جَعفَر بْن أَبي كثير، مَولَى بني زريق، الأَنصاريّ، المَدَنِيٌّ.سَمِعَ أبا جَعفَر القاري، والعلاء بْن عَبد الرَّحمَن، وربيعة بْن أَبي عَبد الرَّحمَن.قارئ أهل مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم، وهو أخو محمد وكثير ويحيى ويعقوب بني جعفر. روى عنه سريج بن النعمان الجوهري، وسعيد بن سُلَيْمَان الواسطي وسليمان بن داود الهاشمي، وأبو همام السكوني، وأبو عمر الدوري، وغيرهم ،وكان قد أقام ببغداد يؤدب علي بن المهدي المعروف بابن زرة، ولم يزل بها إلى حين وفاته، وتوفي عام مائة وثمانين . ينظر الكنز في القراءات العشر لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ) (١٢٢/١) ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر للنويري(٢٠٦/١) .

٢ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(٢٣٢/١) بتصرف واختصار .

٣ الأنبياء: (٦٦ – ٦٧)

عدد آيات سورة الأنبياء مائة واثنتا عشرة آية ،ومنهم القرطبي والبيضاوى وغيرهم [١].

رابعاً : ترتيب السورة .

هِيَ السُّورَةُ الْحَادِيَةُ وَالسَّبْعُونَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ نَزَلَتْ بَعْدَ سورة السَّجْدَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّحْلِ، فَتَكُونُ مِنْ أَوَاخِرِ السُّوَرِ النَّازِلَةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ أي من أواخر القرآن المكي نزولا. وَلَعَلَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ إِسْلَامِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَمَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)﴾ [٢]

، غَيْرَ أَنَّ مَا رَوَاهُ ابْن إِسْحَق عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) [٣]، أَنَّ الْمُرَادَ بِضَرْبِ الْمَثَلِ هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ ابْنُ الزِّبَعْرَى [٤] لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى(إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

---

١ ينظر الكشاف للزمخشري (١٠٠/٣)، مفاتيح الغيب للرازي (١١٨/٢٢)، تفسير القرطبي (٢٦٦/١١) ،تفسير البيضاوي (٤٥/٤) ، ،تفسير الخازن (٢٢٠/٢) .

٢ الأنبياء: ٣

٣ سُورَةِ الزُّخْرُفِ [٥٧]

٤ ما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال آية لا يسألني الناس عنها لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها أو جهلوها فلا يسألون عنها قيل له وما هي قال لما نزلت " إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ " شق على قريش فقالوا أيشتم آلهتنا، فجاء ابن الزبعري فقال: ما لكم؟ قالوا يشتم آلهتنا قال فما قال قالوا قال " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " قال ادعوه لي فلما دعي النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : يا محمد هذا شئ لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله، قال :بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابن الزبعري: خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح وأن عزيرا عبد صالح ؟ وهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى تعبد عيسى عليه السلام، وهذه اليهود تعبد عزيرا، قال: فصاح أهل مكة فأنزل الله تعالى " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى " الملائكة وعيسى وعزير علهيم السلام " أولئك عنها مبعدون فالملائكة وعيسى – عليه السلام – و عزير لم يدعوا إلى عبادة أنفسهم ، ولو عبدهم الناس أثناء

اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)[١] يَقْتَضِي أَنَّ سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ نَزَلَتْ قَبْلَ سُورَةِ الزُّخْرُفِ. وَقَدْ عُدَّتِ الزُّخْرُفُ ثَانِيَةً وَسِتِّينَ فِي النُّزُولِ[٢].

هذا بالنسبة لترتيب السورة من ناحية النزول .

أما ترتيبها في المصحف فقد وقعت بعد سورة طه، وقبل سورة الحج ، وهذا الترتيب توقيفي، فقد أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – الصحابة بوضع سورة كذا في موضع كذا، كما أخبره جبريل عن الله –عز و جل– .

خامساً : فضل السورة .

١- لسورة الأنبياء فضل عظيم ، وهى من أوائل السور التى نزلت من القرآن

فقد جاء في «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:«بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفُ، وَمَرْيَمُ، وَطَهَ، وَالْأَنْبِيَاءُ، هُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي»[٣] .

حياتهم لأنكروا عليهم ذلك .حديث صحيح ، إسناده حسن ، رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه عاصم بن بهدلة، و قد وثقه الإمام أحمد وغيره ،ذكره الألباني في الصحيحة (١٠٤٦)، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٩١٨) (٨٦/٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٧٤٠)(١٥٣/١٢) ،والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١١٣٣١) (١٠٤/٧) و غيرهم.

١ الْأَنْبِيَاء: ٩٨

٢ ينظر التحرير والتنوير لا بن عاشور (٨/١٧) ، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٢٢٦/١)

٣ أخرجه البخاري في صحيحه باب قوله تعالى(وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ) النحل: ٧٠،برقم (٤٧٠٨) (٨٢/٦)، و في باب قوله تعالى (فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ) طه: ١١٧،برقم (٤٧٣٩)(٩٦/٦) ، وفي باب تأليف القرآن برقم (٤٩٩٤)

والمرا د بالعتاق – بكسر المهملة– جمع عتيق و هو القديم ، أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة و الإتقان ،والتلاد– بكسر التاء و تخفيف اللام– المال القديم ، أوكل ما كان قديما و المراد أنها من قديم ما نزل ، أي من أول ما أخذت من القرآن شبهه بتلاد المال أي القديم ، و معناه أن ذلك كان بمكة .

٢– كما أنها من السور التي أذهلت الصحابة بما احتوته من أمور جسام فقد أخرج أبو نعيم الأصبهاني عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فَأَكْرَمَ عَامِرٌ مَثْوَاهُ وكَلَّمَ فِيهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: إِنِّي اسْتَقْطَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَادِيًا مَا فِي الْعَرَبِ وَادٍ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ لَكَ مِنْهُ قِطْعَةً تَكُونُ لَكَ وَلِعَقِبِكَ مِنْ بَعْدِكَ، قَالَ عَامِرٌ: لَا حَاجَةَ لِي فِي قَطِيعَتِكَ، نَزَلَتِ الْيَوْمَ سُورَةٌ أَذْهَلَتْنَا عَنِ الدُّنْيَا: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ "[١]

و سائر ما روي أو ما قيل في فضائل السورة بعد ذلك موضوع لا أصل له كحديث أبي ابن كعب و غيره .

سادساً: محور السورة .

إن محور السورة يدور كسائر السور المكية حول أمور العقيدة ،ووحدانية الله تعالى ، ووقوع البعث ،وموقف الناس منه،وإثبات صفة الرسالة ....وغير ذلك .

ثانياً : التعريف بداود وسليمان –عليهما السلام _.

(١٨٥/٦)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٢٢٤) (٨٨/٤) ، و المزي في تحفة الأشراف برقم (٩٣٩٥) (٨٨/٧) .

١ – هذا الحديث ضعيف الإسناد. رواه أبو نعيم في (الحلية) (١٧٩/١) بإسناد فيه ضعيفان: موسى بن عبيدة، وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ، وعزاه السيوطي لابن مردويه في (الدر المنثور) (٦١٥/٥) .

هُوَ دَاوُدُ بْنُ إِيشَا بن عُوَيْد بن عَابِر بن سَلمُون بن نحشون بن عويناذب ابْن إِرَمَ بْنِ حَصرُونَ بْنِ فَارِصَ بْنِ يَهُوذَا بن يَعْقُوب بن إِسْحَق بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَبْدُ اللَّهِ وَنَبِيُّهُ وَخَلِيفَتُهُ فِي أَرْضِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

و قد قَتَلَ داود جَالُوتَ عِنْدَ قَصْرِ أُمِّ حَكِيمٍ بِقُرْبِ مَرْجِ الصُّفَّرِ[1]، فَأَحَبَّتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَمَالُوا إِلَيْهِ وَإِلَى مُلْكِهِ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ طَالُوتَ مَا كَانَ وَصَارَ الْمُلْكُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَين الْملك والنبوة بَين خيري الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ الْمُلْكُ يَكُونُ فِي سِبْطٍ والنبوة فِي آخر فاجتمعا فِي دَاوُدَ هَذَا وورثه ابنه سليمان من بعده.

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرض وَلَكِن الله ذو فضل على الْعَالمين ﴾أَيْ لَوْلَا إِقَامَةُ الْمُلُوكِ حُكَّامًا عَلَى النَّاسِ لَأَكَلَ قَوِيُّ النَّاسِ ضَعِيفَهُمْ.

---

[1] مَرْجُ الصُّفَّرِ: مَوْضِعٌ بِدِمَشْقَ. وقيل مَوْضِعٌ بَيْنَ دِمَشْقَ وَالْجَوْلَانِ صَحْرَاءُ كَانَتْ بِهَا وَقْعَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي أَيَّامِ بَنِي مَرْوَانَ ، هُوَ سَهْلٌ وَاسِعٌ عَلَى بُعْدِ ٣٧ كَمْ عَنْ دِمَشْقَ جَنُوبًا. وَفِي شَرْقِ قَرْيَةِ شقحب، وَيَشْمَلُ الْيَوْمَ بَعْضَ أَرَاضِي قُرَى: زَاكِيَةَ، وشقحب، وأركيس، والزريفية، وَغَيْرِهَا. جَرَتْ فِيهِ عِدَّةُ مَعَارِكَ حَاسِمَةٌ، مِنْهَا مَعْرَكَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الزَّاحِفِينَ إِلَى دِمَشْقَ - بَعْدَ مَعْرَكَةِ الْيَرْمُوكِ - وَالرُّومِ الْبِيزَنْطِيَّةِ فِي سَنَةِ ١٤ هـ، وَمَعْرَكَةٌ فِي أَيَّامِ بَنِي مَرْوَانَ، وَمَعْرَكَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّلِيبِيِّينَ فِي سَنَةِ ٥١٩ هـ، وَمَعْرَكَةُ التَّتَارِ وَجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَنَةِ ٧٠٢ هـ فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ.ينظر معجم البلدان (٥/١٠١)، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لعاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (ص٢٨٨) .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَارِيخِهِ [١]أَنَّ جالوت لما بارز طالوت فَقَالَ لَهُ اخرج إِلَيّ وَأخرج إِلَيْكَ فندَبَ طَالُوتُ النَّاسَ فَانْتَدَبَ دَاوُدُ فقتَلَ جَالُوتَ فَمَالَ النَّاسُ إِلَى دَاوُدَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لِطَالُوتَ ذِكْرٌ، وَخَلَعُوا طَالُوتَ وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ دَاوُدَ.

وَذهب بعض العلماء أَنَّهُ وَلَّاهُ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُور أَنه إِنَّمَا ولى ذَلِك بَعْدَ قَتْلِ جَالُوتَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

والرأي الراجح رأي الجمهور لأن الله تعالى عطف إتيان الملك والحكمة لداود على قتل جالوت حيث قال تعالى﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[٢]

سليمان : بن داوود – عليهما السلام – وذهب بعض العلماء إلى أن أمه هي زوجة أوريا أو مخطوبته التي تزوجها داود .

ولكن هذه القصة لم تثبت صحتها لا في القرآن ولا في السنة النبوية المطهرة كما أنها تنافي العصمة الواجبة للأنبياء، وهي من الروايات الإسرائيلية الدخيلة ؛ فلا ينبغي أن نسود بها الصفحات أو نشغل أنفسنا بالبحث فيها.

ثالثاً :التفسير التحليلي للآيات.

---

١ ينظر تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الرسل والملوك لا بن جرير الطبري (٥٢٦/١)

٢ البقرة: ٢٥١

قال تعالى ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢)﴾

مناسبة الآيات لما قبلها :

بدأت السورة الكريمة ببيان قرب القيامة ، ثم أتبعت ذلك ببيان إمكانية البعث ، ثم شرعت في ذكر جمع من الأنبياء ، وقد روعي في تخصيصهم بالذكر ما اشتهر به كل فرد منهم من المزية التي أنعم الله بها عليه، بدءًا بذكر ما فضل الله به موسى وهارون من إيتاء الكتاب المماثل للقرآن وما عقب ذلك. ولم يكن بعد موسى في بني إسرائيل عصر له ميزة خاصة مثل عصر داوود وسليمان إذ تطور أمر جماعة بني إسرائيل من كونها مسوسة بالأنبياء، ثم بما طرأ عليها من الفوضى بعد ذلك إلى أن جاء عهد داوود وسليمان – عليهما السلام _ وكان ملكهما قاصرا على قيادة الجنة واختلاف طرق القضاء بالحق مع كون الحق حاصلا للمحق، فمضمونها أنها الفقه في الدين الذي جاء به المرسلون من قبل[١].

معاني المفردات الغريبة:

الحَرْثُ و الحِراثَةُ: العَمل فِي الأَرض زَرْعاً كَانَ أَو غَرْساً، وقد يكون الحَرْثُ نفسَ الزَّرْع،

---

١ ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور (١١٥/١٧) بتصرف.

والحَرْثُ: العَمَلُ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. والمرأَةُ حَرْثُ الرَّجُلِ أَي يَكُونُ وَلَدُه مِنْهَا،إذا فالحرث يطلق على الزرع ،ويُطلق أيضًا على المرأة كما في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[١]

والمراد بالحرث في الآية الزرع كرما كان أو غيره [٢].

النفش : الرعي بالليل، وهو المراد هنا، والنَّفْش:في الأصل مَدُّكَ الصوف حتى يَنتفش بعضُه عن بعض، وكل شيء تراه مُنتشِراً رِخْوَ الجَوْف فهو مُنتفِشٌ. وإبلٌ نوافش: تردّدت بالليل في المراعي بلا راعٍ، وهو كالهوامل بالنهار.[٣]

سخر: سَخِرَ منه وبه، أي: استهزأ. والسُّخْرِيَّةُ: مصدر في المعنيين جميع ، وأما السُّخْرةُ فما تَسَخَّرْتَ من خادم ودابة بلا أجر ولا ثمن، والتسخير التذليل. وسفُنٌ سواخِرُ إذا أَطاعت وَطَابَ لَهَا الرِّيحُ. وكُلُّ مَا ذَلَّ وَانْقَادَ أَو تهيأَ لَكَ عَلَى مَا تُرِيدُ، فَقَدْ سُخِّرَ لَكَ[٤]. والمراد بالتسخير في الآية التذليل .

التسبيح: التَّسبيح: التَّنْزِيهُ ، ومنه السَّبْحُ والسِّباحة: العَوْمُ. سَبَحَ بِالنَّهْرِ ،والسَّوابِحُ: الْخَيْلُ لأَنها تَسْبَح، والسَّبْحُ: الفَراغُ. ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ

---

١ البقرة: ٢٢٣

٢ لسان العرب لابن منظور (١٣٤/٢) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (٢١٤/٥) ، مجمل اللغة لأحمد بن فارس (٢٣٠/١) ، كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (٢٠٥/٣).

٣ المصدر السابق(٢٦٨/٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٩٦/٥) مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) (٣١٦) بتصرف .

٤ ينظر اللسان (٣٥٤/٤) تاج العروس (٥٢١/١١) ، مختار الصحاح (١٤٤/١)، القاموس المحيط (٤٠٥/١) .

فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا﴾ إنما يَعْنِي بِهِ فَرَاغًا طَوِيلًا وتَصَرُّفاً،وأَما قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ فمعناه: إِن كُلَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ،وإِن صَرِيرَالسَّقْف وصَرِيرَ الْبَابِ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ؛ وَجَائِزٌ أَن يَكُونَ تَسْبِيحُ هَذِهِ الأَشياء بِمَا اللَّهُ بِهِ أَعلم لَا نَفْقَه مِنْهُ إلا مَا عُلِّمْناه.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَن للمَخْلُوقَاتِ تَسْبِيحٌ تَعَبَّدَتْ بِهِ قولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجِبَال(يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ) ومَعْنَى أَوِّبي: سَبِّحي مَعَ دَاوُدَ النهارَ كلَّه إِلى اللَّيْلِ؛ ولَا يَجُوزُ أَن يَكُونَ مَعْنَى أَمر اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجِبَالِ بالتأْويب إلا تَعَبُّداً لَهَا؛ وَكَذَلِكَ قَوْلِهِ تَعَالَى:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) فَسُجُودُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ عِبَادَةٌ مِنْهَا لِخَالِقِهَا لَا نفقَهُها عَنْهَا كَمَا لَا نَفَقُهُ تَسْبِيحَهَا؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:(وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) وَقَدْ عَلِمِ اللهُ هُبوطَها مِنْ خَشْيَتِهِ ولَمْ يُعَرِّفْنَا ذَلِكَ فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِمَا أُعلمنا ولَا نَدَّعِي بِمَا لَا نُكَلَّف بأَفهامنا مِنْ عِلْمِ فِعْلِها كَيْفِيَّةً نَحُدُّها.

اللبوس من كل شَيْء: مَا لبسته من ثوب أَو غَيره. واللبوس: مَا تحصنت بِهِ من درع أَو غَيرهَا وَكَذَلِكَ فسر فِي التَّنْزِيل: {وعلمناه صَنْعَة لبوس لكم} و المراد الدروع التي تلبس في الحرب ولبست الْأَمر على فلَان ألبسهُ لبسا

ولبسته تلبيسا إِذا عميته عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فسر فِي التَّنْزِيل: {وللبسنا عَلَيْهِم مَا يلبسُونَ} [١].

وعنى به في الآية اتخاذ الدروع بإلانة الحديد له.وهو ما يلبس على الصدر ليقي الإنسان في الحرب ، ويصنع من الحديد ، وقد صنعه نبي الله داود – عليه السلام – منذ آلاف السنين ، وما زال يستخدم إلى الآن في الحروب، وفي هذا ما يدل على أن القرآن فيه صلاح البشرية منذ نزوله إلى قيام الساعة .

الحِصْنُ: كل مَوضِع حَصِين لَا يُوصَلُ إِلَى مَا فِي جَوْفه، والدِّرْعُ الحَصِينَةُ: المُحْكَمَةُ، الأَمِينَةُ المُتَدَانِيَةُ الحلَق الَّتِي لَا يَحِيكُ فِيهَا السِّلَاح.

مِنْ بَأْسِكُمْ: من حربكم. البأس: العذاب الشديد،أوالشدة في الحرب أوالحرب، وقد يأتي بمعنى الخوف. ولا يكون إلا مع الشدة .[٢]

الشُكْرُ: الثناء على المحسِن بما أولاكه من المعروف. يقال: شَكَرْتُهُ وشَكَرْتُ له، وباللام أفصح،الشكر، بالضم: عرفان الإحسان ونشره ، وهو الشكور أيضا، و لا يكون الشكر إلا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد،وقيل: الشكر مقلوب الكشر، أي الكشف، وقيل: أصله من عين شكرى أي ممتلئة، والشكر على هذا: الامتلاء من ذكر المنعم.

والشكر على ثلاثة أضرب: شكر بالقلب، وهو تصور النعمة، وشكر باللسان، وهو الثناء على المنعم، وشكر بالجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه.

---

١ ينظر تاج العروس (٢٦٨/١٦)، جمهرة اللغة (٣٤١/١) ،مختار الصحاح (٢٧٨/١) ، ،الأساليب و الإطلاقات العربية لأبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي (٨٨) .

٢٢ ينظر تاج العروس (٣٤٠/١٥) ،اللسان (٢٠/٦).

وقال أيضا: الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، هذه الخمسة هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فإن عدم منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشكر، والفرق بين الشكر والحمد أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانةً، وباللسان ثناءاً واعترافًا، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا، ومتعلقه المنعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود بها، كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد، من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر، من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد باللسان.

والشُّكْرُ: مِثْلُ الْحَمْدِ إلا أَن الْحَمْدَ أَعم مِنْهُ، فإِنك تَحْمَدُ الإِنسانَ عَلَى صِفَاتِهِ الْجَمِيلَةِ وَعَلَى مَعْرُوفِهِ، ولَا تَشْكُرُهُ إلا عَلَى مَعْرُوفِهِ دُونَ صِفَاتِهِ. والشُّكْرُ: مُقَابَلَةُ النِّعْمَةِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالنِّيَّةِ، فَيُثْنِي عَلَى الْمُنْعِمِ بِلِسَانِهِ وَيُذِيبُ نَفْسَهُ فِي طَاعَتِهِ وَيَعْتَقِدُ أَنه مُولِيها؛ وَهُوَ مِنْ شَكَرَتِ الإِبل تَشْكُر إِذا أَصابت مَرْعًى فَسَمِنَتْ عَلَيْهِ[1].

العَصْفُ: ما على ساق الزّرع من الورق الذي يبس فتفتّت.أو دقاق التبن الذي إذا ذّري و صار مع الريح كأنْه غبار.

---

١ الصحاح (٧٠٢/٢) ،تاج العروس (٢٢٤/١٢)، اللسان (٤٢٣/٤)

والرّيح تَعْصِفُ بما مرّت عليه من جوَلان التراب، أي: تمضي به. وناقة عَصُوف: تعصف براكبها، أي: تمضي به كسرعة الريح. والعَصْفُ: السّرعة في كل شيء[١].

إلى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها : المراد بها الشام.

الشياطين :مأخوذ من شطن ومنه شَطَنَتْ الدَّارُ شُطُونًا مِنْ بَابِ قَعَدَ بَعُدَتْ.وَالشَّطَنُ الْحَبْلُ وَالْجَمْعُ أَشْطَانٌ مِثْلُ: سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ.

وَفِي الشَّيْطَانِ قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنْ شَطَنَ إذَا بَعُدَ عَنْ الْحَقِّ أَوْ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فَتَكُونُ النُّونُ أَصْلِيَّةً وَوَزْنُهُ فَيْعَالٌ وَكُلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالدَّوَابِّ فَهُوَ شَيْطَانٌ وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ فَرَسَهُ فَقَالَ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ فِي أَشْطَانٍ .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ الْيَاءَ أَصْلِيَّةٌ وَالنُّونَ زَائِدَةٌ عَكْسُ الْأَوَّلِ وَهُوَ مِنْ شَاطَ يَشِيطُ إذَا بَطَلَ أَوْاحْتَرَقَ فَوَزْنُهُ فَعْلَانٌ ،و الأول أكثر.

والشيطانُ: حَيَّةٌ لَهُ عُرْفٌ. والشاطِنُ: الْخَبِيثُ[٢].

يغوصون : الغَوْصُ: النُّزولُ تَحْتَ الْمَاءِ، وَقِيلَ: الغَوْصُ الدخولُ فِي الْمَاءِ، غاصَ فِي الْمَاءِ غَوْصاً، فَهُوَ غائصٌ وغَوّاصٌ، وَالْجَمْعُ غاصَة وغَوّاصُون. اللَّيْثُ: والغَوْصُ مَوْضِعٌ يُخْرَج مِنْهُ اللُّؤْلُؤُ.والغَوّاصُ: الَّذِي يَغُوصُ فِي الْبَحْرِ للبحث عن اللُّؤْلُؤِ، والغاصةُ مُسْتخرجُوه، وَفِعْلُهُ الغِياصة.

---

١ كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (٣٠٦/١).

٢ينظرالمصباح المنير (٣١٣/١) تاج العروس (٢٧٨/٣٥) ، اللسان (٢٣٨/١٣) بتصرف واختصار.

و يُقَالُ لِلَّذِي يَغُوصُ عَلَى الأَصداف فِي الْبَحْرِ فَيَسْتَخْرِجُهَا غائصٌ وغوّاصٌ [١].

القراءات

وقرأ لحكمهما ابن عباس فالضمير لداود وسليمان.

وقرأ عكرمة فأفهمناها عدي بالهمزة كما عدي في قراءة الجمهور بالتضعيف والضمير في ففهمناها للحكومة أو الفتوى.

وقرىء لبوس بضم اللام والجمهور بفتحها.

وقرأ الجمهور:ليحصنكم بياء الغيبة أي الله فيكون التفاتا إذ جاء بعد ضمير متكلم في وعلمناه ويدل عليه قراءة أبي بكر عن عاصم بالنون وهي قراءة أبي حنيفة ومسعود بن صالح ورويس والجعفي وهارون ويونس والمنقري كلهم عن أبي عمرو ليحصنكم داود، واللبوس قيل أو التعليم. وقرأ ابن عامر وحفص والحسن وسلام وأبو جعفر وشيبة وزيد بن علي بالتاء أي لتحصنكم الصنعة أو اللبوس على معنى الدرع ودرع الحديد مؤنثة وكل هذه القراءات الثلاث بإسكان الحاء والتخفيف. وقرأ الفقيمي عن أبي عمرو وابن أبي حماد عن أبي بكر بالياء من تحت وفتح الحاء وتشديد الصاد، وابن وثاب والأعمش بالتاء من فوق والتشديد واللام في لكم يجوز أن تكون للتعليل فتتعلق بعلمناه، أي لأجلكم وتكون لتحصنكم في موضع بدل أعيد معه لام الجر إذ الفعل منصوب بإضمار أن فتقدر بمصدر أي لكم لإحصانكم من بأسكم ويجوز أن تكون لكم صفة للبوس فتتعلق بمحذوف

---

١ الصحاح (١٠٤٧/٣) المصباح المنير (٤٥٦/٢) ، تاج العروس(٦١/١٨) ، اللسان (٦٢/٧)

أي كائن لكم، واحتمل أن يكون ليحصنكم تعليلا للتعليم فيتعلق بعلمناه، وأن يكون تعليلا للكون المحذوف المتعلق به لكم .

وقرأ الجمهور الريح مفردا بالنصب. وقرأ ابن هرمز وأبو بكر في رواية بالرفع مفردا. وقرأ الحسن وأبو رجاء الريح بالجمع والنصب. وقرأ بالجمع والرفع أبو حيوة فالنصب على إضمار سخرنا، والرفع على الابتداء وعاصفة حال العامل فيها سخرنا في قراءة من نصب الريح وما يتعلق به الجار في قراءة من رفع ويقال: عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة، ولغة أسد أعصفت فهي معصف ومعصفة [١]

شرح الآيات الكريمة:

بدأت هذه الآيات الكريمة بذكر طرف من قصة داود وسليمان – عليهما السلام –

و فِي كَيْفِيَّةِ الْقِصَّةِ وَجْهَانِ.

الْأَوَّلُ:قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَحَدُهُمَا صَاحِبُ حَرْثٍ (أى زرع وسمى الحرث زرعا لأنه سبب جودته ونمائه وزيادته)وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه كان كرماً تدلت عناقيده، وَالْآخَرُ صَاحِبُ غَنَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْحَرْثِ: إِنَّ غَنَمَ هَذَا دَخَلَتْ حَرْثِي وَمَا أَبْقَتْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اذْهَبْ فَإِنَّ الْغَنَمَ لَكَ. فَخَرَجَا فَمَرَّا عَلَى سُلَيْمَانَ، فَقَالَ: كَيْفَ قَضَى بَيْنَكُمَا؟

فَأَخْبَرَاهُ: فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا الْقَاضِيَ لَقَضَيْتُ بِغَيْرِ هَذَا. فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَعَاهُ وَقَالَ: كَيْفَ كُنْتَ تَقْضِي بَيْنَهُمَا، فَقَالَ: أَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى

---

١ الحجة في القراءات السبع لا بن خالويه، (٢٥٠) ،العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي (١٣٢)، تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري(٤٦٦) .

صَاحِبِ الْحَرْثِ فَيَكُونُ لَهُ مَنَافِعُهَا مِنَ الدَّرِّ وَالنَّسْلِ وَالْوَبَرِ حَتَّى إِذَا كَانَ الْحَرْثُ مِنَ الْعَامِ الْمُقبلِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ أُكِلَ دَفَعْتُ الْغَنَمَ إِلَى أَهْلِهَا وَقَبَضَ صَاحِبُ الْحَرْثِ حَرْثَهُ.

الثَّانِي:قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَشُرَيْحٌ وَمُقَاتِلٌ رَحِمَهُمُ اللَّه: أَنَّ رَاعِيًا نَزَلَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِجَنْبِ كَرْمٍ، فَدَخَلَتِ الْأَغْنَامُ الْكَرْمَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ فَأَكَلَتِ الْقُضْبَانَ وَأَفْسَدَتِ الْكَرْمَ، فَذَهَبَ صَاحِبُ الْكَرْمِ مِنَ الْغَدِ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَضَى لَهُ بِالْغَنَمِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ثَمَنِ الْكَرْمِ وَثَمَنِ الْغَنَمِ تَفَاوُتٌ، فَخَرَجُوا وَمَرُّوا بِسُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ قَضَى بَيْنَكُمَا؟ فَأَخْبَرَاهُ بِهِ، فَقَالَ غَيْرُ هَذَا أَرْفَقُ بِالْفَرِيقَيْنِ، فَأُخْبِرَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ فَدَعَا سُلَيْمَانَ وَقَالَ لَهُ: بِحَقِّ الْأُبُوَّةِ وَالنُّبُوَّةِ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي بِالَّذِي هُوَ أَرْفَقُ بِالْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: تُسَلِّمُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْكَرْمِ حَتَّى يَرْتَفِقَ بِمَنَافِعِهَا وَيَعْمَلُ الرَّاعِي فِي إِصْلَاحِ الْكَرْمِ حَتَّى يَصِيرَ كَمَا كَانَ، ثُمَّ تَرُدُّ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا، فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا الْقَضَاءُ مَا قَضَيْتَ وَحَكَمَ بِذَلِكَ.

وذكرت بعض كتب التفاسير أن سليمان كان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم فقد كانوا يدخلون من باب و يخرجون من باب آخر وسألهم عن حكم داود – عليه السلام – فقال غير هذا أرفق بالفريقين إلى آخر القصة .....

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: حَكَمَ سُلَيْمَانُ بِذَلِكَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً.

وقد ذهب بعض العلماء إلى إِنَّهُمَا لَمْ يَخْتَلِفَا في الحكم الْبَتَّةَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ لَهُمَا الْحُكْمَ لَكِنَّهُ بَيَّنَهُ عَلَى لِسَانِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[١].

١ ينظر جامع البيان للطبري (٤٧٤/١٨) ،تفسير اليغوي (٢٩٨/٣) ، ابن كثير (٣١٢/٥) بتصرف .

والصَّوَابُ أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا وَالدَّلِيلُ أن الله تعالى قَالَ: (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ)ثُمَّ قَالَ: (فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ) وَالْفَاءُ لِلتَّعْقِيبِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْحُكْمُ سَابِقًا عَلَى هَذَا التَّفْهِيمِ، ولأنهما لو اتَّفَقَا فِيهِ لَمْ يَبْقَ لِقَوْلِهِ:(فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ)فَائِدَةٌ ،كما أن إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ﷺ منعقد على ذلك.

و بناء عليه فالصحيح أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا فِي الْحُكْمِ.

ولَكِنْ هَلْ كَانَ الْحُكْمَانِ صَادِرَيْنِ عَنِ الوحي أَوْ عَنِ الِاجْتِهَادِ ؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن الِاجْتِهَادَ غَيْرُ جَائِزٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ- عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- و احتجوا على ذلك بِأُمُورٍ منها:

١- قوله تعالى:﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحى إِلَيَّ ﴾[1] وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ﴾[2] .

٢- أَنَّ الِاجْتِهَادَ طَرِيقُهُ الظَّنُّ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِدْرَاكِهِ يَقِينًا فَلَا يَجُوزُ مَصِيرُهُ إِلَى الظَّنِّ كَالْمُعَايِنِ لِلْقِبْلَةِ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ.

٣- أَنَّ مُخَالَفَةَ الرَّسُولِ تُوجِبُ الْكُفْرَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[3] وَمُخَالَفَةُ الْمَظْنُونِ وَالْمُجْتَهَدَاتِ لَا تُوجِبُ الْكُفْرَ.

٤- لَوْ جَازَ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْأَحْكَامِ لَكَانَ لَا يَقِفُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، ولَكنه وَقَفَ فِي مَسْأَلَةِ الظِّهَارِ وَاللِّعَانِ إِلَى وُرُودِ الْوَحْيِ دَلَّ عَلَى أَنَّ الِاجْتِهَادَ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَيْهِ.

٥- أَنَّ الِاجْتِهَادَ إِنَّمَا يَجُوزُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ عِنْدَ فَقْدِ النَّصِّ، لَكِنَّ فِقْدَانَ النَّصِّ فِي حَقِّ الرَّسُولِ كَالْمُمْتَنِعِ فَوَجَبَ أَنْ لَا يَجُوزَ الِاجْتِهَادُ مِنْهُ.

---

١ يُونُسَ: ١٥

٢ النَّجْمِ: ٣

٣ النِّسَاءِ: ٦٥

٦- لَوْ جَازَ الِاجْتِهَادُ مِنَ الرَّسُولِ لَجَازَ أَيْضًا مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحِينَئِذٍ لَا يَحْصُلُ الْأَمَانُ بِأَنَّ هَذِهِ الشَّرَائِعَ الَّتِي جَاءَ بِهَا أَهِيَ مِنْ نُصُوصِ اللَّه تَعَالَى أَوْ مِنَ اجْتِهَادِ جِبْرِيلَ؟

وَالْجَوَابُ عَنِ الْأَوَّلِ: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحى إِلَيَّ ﴾لَا يَدُلُّ عَلَى ذلك لِأَنَّهُ وَارِدٌ فِي إِبْدَالِ آيَةٍ بِآيَةٍ لِأَنَّهُ عَقِيبَ قَوْلِهِ:﴿وقالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ ولَا مَدْخَلَ لِلِاجْتِهَادِ فِي ذَلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ﴾ فَبَعِيدٌ لِأَنَّ مَنْ يَجُوزُ لَهُ الِاجْتِهَادُ يَقُولُ إِنَّ الَّذِي أَجْتَهِدُ فِيهِ هُوَ عَنْ وَحْيٍ عَلَى الْجُمْلَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ، وَإِنَّ الْآيَةَ وَارِدَةٌ فِي الْأَدَاءِ عَنِ اللَّه تَعَالَى لَا فِي حُكْمِهِ الَّذِي يَكُونُ بِالْعَقْلِ.

وَالْجَوَابُ عَنِ الثَّانِي: أَنَّ اللَّه تَعَالَى إِذَا قَالَ لَهُ إِذَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّكَ كَوْنُ الْحُكْمِ مُعَلَّلًا فِي الْأَصْلِ بِكَذَا، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى ظَنِّكَ قِيَامُ ذَلِكَ المعنى في صورة أخرى فاحكم بذلك فههنا الْحُكْمُ مَقْطُوعٌ بِهِ وَالظَّنُّ غَيْرُ وَاقِعٍ فِيهِ بَلْ فِي طَرِيقِهِ.

والْجَوَابُ عَنِ الثَّالِثِ: أَنَّا لَا نُسَلِّمُ أَنَّ مُخَالَفَةَ الْمُجْتَهِدَاتِ جَائِزَةٌ مُطْلَقًا بَلْ جَوَازُ مُخَالَفَتِهَا مَشْرُوطٌ بِصُدُورِهَا عَنْ غَيْرِ الْمَعْصُومِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ يُجْمِعُوا اجْتِهَادًا ثُمَّ يَمْتَنِعُ مُخَالَفَتُهُمْ وَحَالُ الرسول أؤكد.

وَالْجَوَابُ عَنِ الرَّابِعِ: لَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَمْنُوعًا مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي بَعْضِ الْأَنْوَاعِ أَوْ كَانَ مَأْذُونًا مُطْلَقًا لَكِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ وَجْهُ الِاجْتِهَادِ، فَلَا جَرَمَ أَنَّهُ تَوَقَّفَ.

وَالْجَوَابُ عَنِ الْخَامِسِ: لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْبَسَ النَّصُّ عَنْهُ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ شَرْطُ جَوَازِ الِاجْتِهَادِ.

وَالْجَوَابُ عَنِ السَّادِسِ: أَنَّ هَذَا الِاحْتِمَالَ مَدْفُوعٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى خِلَافِهِ .

فَهَذَا هُوَ الْجَوَابُ عَنْ شُبَهِ الْمُنْكِرِينَ

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الِاجْتِهَادِ عَلَيْهِمْ وُجُوهٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ الْحُكْمَ فِي الْأَصْلِ مُعَلَّلٌ بِمَعْنًى ثُمَّ عَلِمَ أَوْ ظَنَّ قِيَامَ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي صُورَةٍ أُخْرَى فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ حُكْمَ اللَّه تَعَالَى فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مِثْلُ مَا فِي الْأَصْلِ، وَعِنْدَهُ مُقَدِّمَةٌ يَقِينِيَّةٌ وَهِيَ أَنَّ مُخَالَفَةَ حُكْمِ اللَّه تَعَالَى سَبَبٌ لِاسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ فَيَتَوَلَّدُ مِنْ هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ ظَنُّ اسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ لِمُخَالَفَةِ هَذَا الْحُكْمِ الْمَظْنُونِ. وَعِنْدَ هَذَا، إِمَّا أَنْ يُقْدِمَ عَلَى الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ مَعًا وَهُوَ مُحَالٌ لِاسْتِحَالَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ. أَوْ يَتْرُكَهُمَا وَهُوَ مُحَالٌ لِاسْتِحَالَةِ الْخُلُوِّ عَنِ النَّقِيضَيْنِ، أَوْ يُرَجِّحُ الْمَرْجُوحَ عَلَى الرَّاجِحِ وَهُوَ بَاطِلٌ بِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ، أَوْ يُرَجِّحُ الرَّاجِحَ عَلَى الْمَرْجُوحِ وَذَلِكَ هُوَ الْعَمَلُ بِالْقِيَاسِ. وَهَذِهِ النُّكْتَةُ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا التَّعْوِيلُ فِي الْعَمَلِ بِالْقِيَاسِ وَهِيَ قَائِمَةٌ أَيْضًا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ أَمْرٌ لِلْكُلِّ بِالِاعْتِبَارِ فَوَجَبَ انْدِرَاجُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ لِأَنَّهُ إِمَامُ الْمُعْتَبِرِينَ وَأَفْضَلُهُمْ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ الِاسْتِنْبَاطَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعُلَمَاءِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ لِلرَّسُولِ فِيهِ مَدْخَلٌ وَإِلَّا لَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ آحَادِ الْمُجْتَهِدِينَ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ.

رَابِعُهَا:قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» فَوَجَبَ أَنْ يَثْبُتَ لِلْأَنْبِيَاءِ دَرَجَةُ الِاجْتِهَادِ لِيَرِثَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُمْ ذَلِكَ.

خَامِسُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ [١] فَذَاكَ الْإِذْنُ إِنْ كَانَ بِإِذْنِ اللَّه تَعَالَى اسْتَحَالَ أَنْ يَقُولَ: لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ، وَإِنْ كَانَ بِهَوَى النَّفْسِ فَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ، وَإِنْ كَانَ بِالِاجْتِهَادِ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

الْمَأْخَذُ الثَّانِي: قَالُوا: لَوْ جَوَّزْنَا الِاجْتِهَادَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَفِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَجِبُ أَنْ لَا يَجُوزَ لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الَّذِي وَصَلَ إِلَى صَاحِبِ الزَّرْعِ مِنْ دَرِّ الْمَاشِيَةِ وَمِنْ مَنَافِعِهَا مَجْهُولُ الْمِقْدَارِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ فِي الِاجْتِهَادِ جَعْلُ أَحَدِهِمَا عِوَضًا عَنِ الْآخَرِ.

ثَانِيهَا: أَنَّ اجْتِهَادَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ كَانَ صَوَابًا لَزِمَ أَنْ لَا يُنْقَضَ لِأَنَّ الِاجْتِهَادَ لَا ينتقض بِالِاجْتِهَادِ. وَإِنْ كَانَ خَطَأً وَجَبَ أَنْ يُبَيِّنَ اللَّه تَعَالَى تَوْبَتَهُ كَسَائِرِ مَا حَكَاهُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَلَمَّا مَدَحَهُمَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً ﴾دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعِ الْخَطَأُ مِنْ دَاوُدَ.

ثَالِثُهَا: لَوْ حَكَمَ بِالِاجْتِهَادِ لَكَانَ الْحَاصِلُ هُنَاكَ ظَنًّا لَا عِلْمًا لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ:﴿ وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾.

رَابِعُهَا: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنِ اجتهاد مَعَ قَوْلِهِ:﴿ فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ﴾ .

وَالْجَوَابُ عَنِ الْأَوَّلِ: أَنَّ الْجَهَالَةَ فِي الْقَدْرِ لَا تَمْنَعُ مِنَ الِاجْتِهَادِ كَالْجَعَالَاتِ وَحُكْمِ الْمُصَرَّاةِ.

وَعَنِ الثَّانِي: لَعَلَّهُ كَانَ خَطَأً مِنْ بَابِ الصَّغَائِرِ.

وَعَنِ الثَّالِثِ: بَيَّنَّا أَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْقِيَاسِ فَالظَّنُّ وَاقِعٌ فِي طَرِيقِ إِثْبَاتِ الْحُكْمِ فَأَمَّا الْحُكْمُ فَمَقْطُوعٌ بِهِ.

وَعَنِ الرَّابِعِ: أَنَّهُ إِذَا تَأَمَّلَ وَاجْتَهَدَ فَأَدَّاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَى مَا ذَكَرْنَا كَانَ اللَّه تَعَالَى فَهَّمَهُ مِنْ حَيْثُ بَيَّنَ لَهُ طَرِيقَ ذلك.

---

١ التَّوْبَةِ: ٤٣

فهذا جُمْلَةُ الْكَلَامِ فِي بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ اخْتِلَافُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ الِاجْتِهَادِ.

وَأَمَّا بَيَانُ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ اخْتِلَافُهُمَا فِيهِ بِسَبَبِ النَّصِّ فَطَرِيقُهُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَأْمُورًا مِنْ قِبَلِ اللَّه تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِالْحُكْمِ الَّذِي حكَمَ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ نَسَخَ ذَلِكَ بِالْوَحْيِ إِلَى سُلَيْمَانَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– خَاصَّةً ،وَأَمَرَهُ أَنْ يُعَرِّفَ دَاوُدَ ذَلِكَ فَصَارَ ذَلِكَ الْحُكْمُ حُكْمَهُمَا جَمِيعًا فَقَوْلُهُ:﴿ فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ﴾ أَيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ .

فَإِنْ قِيلَ هَذَا بَاطِلٌ لِوَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى الْحُكْمَ الْأَوَّلَ عَلَى دَاوُدَ وَجَبَ أَنْ يَنْزِلَ نَسْخُهُ أَيْضًا عَلَى دَاوُدَ لَا عَلَى سُلَيْمَانَ.

الثَّانِي: أَنَّ اللَّه تَعَالَى مَدَحَ كُلًّا مِنْهُمَا عَلَى الْفَهْمِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ النَّصِّ لَمْ يَكُنْ فِي فَهْمِهِ كَثِيرُ مَدْحٍ إِنَّمَا الْمَدْحُ الْكَثِيرُ عَلَى قُوَّةِ الْخَاطِرِ وَالْحَذَاقَةِ فِي الِاسْتِنْبَاطِ [١].

وإذا ثبت أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اخْتِلَافُهُمَا لِأَجْلِ النَّصِّ وَأَنْ يَكُونَ لِأَجْلِ الِاجْتِهَادِ فَأَيُّ الْقَوْلَيْنِ أَوْلَى؟

وأنا أرى أن الوحي أرجح ويكون ذلك من قبيل الوحي التعليمى التطبيقي كما في أمره ﷺ الصحابة بتأبير النخل فحينما سأله الصحابة عن تأبير النخل فأمرهم بتأبيره ،ثم لم يثمر، فقال لهم بعد ذلك أنتم أعلم بشؤون دنياكم .

---

١ مفاتيح الغيب للرازي (١٦٦/٢٢) ، تفسير القرطبي (١١ / ٣٠٧)،في ظلال القرآن (١٧ /٥٥١) باختصار و تصرف .

فليس معنى ذلك أن أمره لهم بتأبير النخل كان عن اجتهاد منه ﷺ،و إنما كان ذلك عن وحي قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ فلما جاء الأمر على عكس ما أرادوا كان ذلك تعليما لهم حتى لو جاء بعد ذلك من يأمرهم بتأبير النخل لم يصغوا له فضلا عن سماع كلامه؛ لأنه قد ثبت لهم بالتجربة و التطبيق أن هذا إلى عد م إثمار النخل وهذا هو ما يحدث بالفعل في العلوم التجريبية التطبيقية فهم يقومون بافتراض الفروض ثم يقيمون العديد من التجارب إلى أن تثبت صحة هذه الفروض التي افترضوها ، و في القصة التي معنا حكم داود عليه السلام بأن يأخذ صاحب الحرث الغنم ويأخذ صاحب الغنم الحرث وذلك لأنه قَوَّمَ قَدْرَ الضَّرَرِ بِالْكَرْمِ فَكَانَ مُسَاوِيًا لِقِيمَةِ الْغَنَمِ فَكَانَ عِنْدَهُ أَنَّ الْوَاجِبَ فِي ذَلِكَ الضَّرَرِ أَنْ يُزَالَ بِمِثْلِهِ مِنَ النَّفْعِ فَلَا جَرَمَ سَلَّمَ الْغَنَمَ إِلَى الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ ، وهذا هو العدل المطلق، وأما سليمان عليه السلام فإنه رأى أنه يجب مقابلة الأصول بالأصول و الزوائد بالزوائد ، فأما مقابلة الأصول بالزوائد فغير جائز لأنه يقتضي الحيف و الجور ، ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الكرم فحكم به فكان ذلك أرفق بالفريقين .

ولذلك قال الله تعالى ﴿ فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ﴾و هذا لا يعني أنه هو المصيب وحده لأن الله تعالى قال ﴿ وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾فكل واحد منهما مصيب فيما حكم به .

ونحن في القضاء نجد الحكم يصدر من محكمة الدرجة الابتدائية، ثم يأتي الاستئناف ليؤيد الحكم أويرفضه، ولا يقال: إن الاستئناف قد عقَّب على الحكم الابتدائي؛ بل يُقال: إنه حكم بكذا إما تأييداً أورَفْضاً؛ فما بالنا بحكم مَنْ لا يغفل ولا تخفى عنه خافية، ولا يمكن أن يُعقِّب أحد عليه؟

فقوله تعالى ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ...﴾ هذا هو الاستئناف، ولا يعني الاستئناف طَعْنَ قاضٍ في القاضي الأول؛ لكنه بَحْثٌ عن جوهر العدل، ولعل القضية إنْ أُعيدَتْ لنفس القاضي الأول لَحكَم نفس الحكم الذي حكم به الاستئناف بعد أن يستكشف كل الظروف التي أحاطتْ بالقضية ، وهذا فيه دلالة على مرونة الشريعة الإسلامية ،وصلاحيتها لكل الأزمنة والأمكنة.

وفي الشريعة المحمدية اختلف الفقهاء في حكم هذه الواقعة فَقَالَ الإمام الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّه: إِنْ كَانَ ذَلِكَ بِالنَّهَارِ لَا ضَمَانَ لِأَنَّ لِصَاحِبِ الْمَاشِيَةِ تَسْيِيبَ مَاشِيَتِهِ بِالنَّهَارِ، وَحِفْظَ الزَّرْعِ بِالنَّهَارِ عَلَى صَاحِبِهِ. وَإِنْ كَانَ لَيْلًا يَلْزَمُهُ الضَّمَانُ لِأَنَّ حِفْظَهَا بِاللَّيْلِ عَلَيْهِ. وَقَالَ الإمام أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّه: لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ لَيْلًا كَانَ أَوْ نَهَارًا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَعَدِّيًا بِالْإِرْسَالِ[1].

ثُمَّ إِنَّ اللَّه تَعَالَى ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي خَصَّ بها داود عليه السلام أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾

وفِي تَفْسِيرِ هَذَا التَّسْبِيحِ وَجْهَانِ:

الأول: تسبيح دلالة على عظمة التكوين، وهندسة البناء، وحكمة الخلق، فهم فهموا التسبيح على أنه تسبيح دلالة فقط؛ لأنهم لم يسمعوا هذا التسبيح ولم يفهموه وقد ذهبت المعتزلة إلى القول بأنه لَوْ حَصَلَ الْكَلَامُ مِنَ الْجَبَلِ لَحَصَلَ إِمَّا بِفِعْلِهِ أَوْ بِفِعْلِ اللَّه تَعَالَى فِيهِ.

وَالْأَوَّلُ: مُحَالٌ لِأَنَّ بِنْيَةَ الْجَبَلِ لَا تَحْتَمِلُ الْحَيَاةَ والعلم والقدرة، وما يَكُونُ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا يَسْتَحِيلُ مِنْهُ الْفِعْلُ.

---

١ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (١٢٨/٣) بتصرف .

وَالثَّانِي: أَيْضًا مُحَالٌ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ عِنْدَهُمْ مَنْ كَانَ فَاعِلًا لِلْكَلَامِ لَا مَنْ كَانَ مَحَلًّا لِلْكَلَامِ، فَلَوْ كَانَ فَاعِلُ ذَلِكَ الْكَلَامِ هُوَ اللَّه تَعَالَى لَكَانَ الْمُتَكَلِّمُ هُوَ اللَّه تَعَالَى لَا الْجَبَلُ ،وَّ مَدَارَ هَذَا الْقَوْلِ عَلَى أَنَّ بِنْيَةَ الْجَبَلِ لَا تَقْبَلُ الْحَيَاةَ، وأن التسبيح ممتنع معها.

.الثاني: أن التسبيح حقيقيٌّ و اختلفوا في كيفيتة فذهب البعض إلى أن الجبال والطير تذكر ربها مع داود حينما يذكر ربه ،و ذهب البعض إلى أنها تجيبه إذا سبح ، و البعض قال كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا وَجَدَ فَتْرَةً أَمَرَ اللَّه تَعَالَى الْجِبَالَ فَسَبَّحَتْ فَيَزْدَادُ نَشَاطًا وَاشْتِيَاقًا.

ولا مانع من أن يوجد تسبيح دلالة فعلاً، لكنه ليس هو المقصود، المقصود هنا التسبيح الحقيقي كُلّ بلُغتِه بدليل قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[1]،

فقوله : ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾يدل على أنه تسبيح فوق تسبيح الدلالة ، إنه تسبيح حقيقيّ ذاتيّ ينشأ بلغة كل جنس من الأجناس، وإذا كنا لا نفقه هذا التسبيح، فقد قال تعالى: {كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ}[2]

ولم لا تسبح الجبال وغيرها من الجماد وقد قال الله تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[3]،

---

١ الإسراء :٤٤

٢ النور: ٤١

٣ الإسراء :٤٤

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [1]، ألم يَقُلْ عن الأرض: {بِأَنَّ رَبَّكَ أوحى لَهَا} [2] ؟

ومعنى هذا أن كل الأشياء تسبح جمادا كانت أم حيوانا ، ولم لا وقد سمع النبي ﷺ و صحابته ﷺ تسبيح الحصى في يده الشريفة ، كما سمع النبي ﷺ وصحابته حنين الجذع ولم يمسك عن ذلك إلى أن نزل النبي ﷺ من على المنبر واحتضنه.

وأما عالم الحيوان فلكل جنس لغةً يتفاهم بها، وقد منح الله سيدنا سليمان – عليه السلام – شرف فهم لغة الحيوان ، وكانت من معجزاته قال تعالى في سورة النمل ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ .... ﴾

فدلت هذه الآيات على بعض معجزات سيدنا سليمان – عليه السلام –وهي معرفته وفهمه للغة الحيوان بتفهيم الله إياه حيث فهم الحوار الذي دار بين النمل ،وضحك متعجبا من كلام النملة ، والحوار الذي دار بينه وبين الهدهد .وكما كرم الله النمل بآيات من كتابه العزيز ، وتسمية سورة كاملة باسمه فكذلك النحل ، كما ذكر أنه أوحى إليه ، والمراد ألهمه فقد جعل

---

١ الرعد :١٣

٢ الزلزلة: ٥

للنحل نظاما دقيقا في تعامله يوازي النظم البشرية ، ويتحداها ، في التنظيم ، وتوزيع الأدوار ، وحسن التعاون .

ولا غرابة أن يعطينا القرآن أمثلة لكلام هذه الأشياء، فقد رأينا العلماء في العصر الحديث يبحثون في لغة الأسماك، ولغة الطير، ولغة الوطاويط التي أخذوا منها فكرة الرادار، و غيرها من الحيوانات ، بل وتوصلوا إلى أن الحيوان يستشعر بوقوع الزلازل وخاصة الحمار، وأنها تفرّ من المكان قبل وقوع الزلزال مباشرة. إذن: فلهم وسائل إدراك، ولهم لغة يتفاهمون بها، ولهم منطق يعبرون به.

وكل ما استطاع العلماء معرفته عن هذه اللغة هو بعض ما تعبر عنه هذه المخلوقات في حالات لا تعدو حاجاتها الضرورية المتصلة ببقائها ، وحفظ نسلها ؛ كالحصول على الغذاء ، والتزاوج ،والأمن من الأخطار.

ولغة هذه المخلوقات تختلف باختلاف البيئة التي تعيش فيها كل فصيلة منها، ففي الوقت الذي نجد فيه الطيور تتواصل بالأصوات والحركات ، هناك الأسماك التي يكون التفاهم فيما بينها بإطلاق الأضواء ، والتلون بالألوان المختلفة ، ومن الحشرات ما يستخدم اللمس ،والشم ،والتنغيم ،والموسيقى، وهناك الثدييات التي تعتمد لغتها أساسا على الصوت والحركات الإشارية .

ومن الملاحظ أن غالبية الحيوانات لا غنى لها عن الصوت ، فهو يكاد يكون قاسما مشتركا بينها جميعا ، وتختلف درجة هذا الصوت في الحيوان – قوة ، وضعفا ، وشدة ، ورخاوة – تبعا لحالته ، وفي اللغة العربية مفردات تعبر عن هذه الأصوات فقد قالوا صهيل الفرس ، وحمحمته إذا جاع ، وقبعه إذا نفر من شيء ، وكذلك الذئب فهو يعوي ، ويتضور ، ويلعلع ، والكلب ينبح ، وإذا خاف أوجاع فصوته ضغاء أوقوقوة ،

وللقطة مواء ، و للغراب نعيقا ، وللحية فحيحا ، و للضفدع نقيقا..........إلى غير ذلك من الأصوات .

ونحن نلحظ أن لكل نوع من الحيوانات صَوْتاً يختلف من نوع إلى آخر، فمثلا النحل يستخدم الرقص كلغة يتفاهمون به للحصول على الغذاء ، ويختلف نوع الرقص على حسب قرب مصدر الغذاء أو بعده ، فالرقص الدائري يؤدى عندما تكون المسافة بين الخلية ومصدر الغذاء لا يتعدى خمسين مترا ، والرقص الاهتزازي إذا زادت المسافة عن ذلك ، ولديه القدرة على تمييز أربعة من الألوان وهي (الأصفر ،و الأخضر،و الأزرق ، واللون فوق البنفسجي) .

ولدرء الأخطار الخارجية فقد زود الله بعض الحشرات بأغشية تحوي مادة سامة ، وأودع بعضها قدرة على التلون بلون المكان الذي تلوذ به[١] .

وهذا يعني أن للصوت نصيب أيضا في لغة التواصل بين الحشرات ويدرس العلماء الآن لُغةَ الأسماك، ويحاولون أنْ يضعوا لها مُعْجماً.

والعلماء في عصرنا الحاضر يدرسون عواطف الشجر تجاه مَنْ يسقيه من البشر، وهنا تجربة تتحدث عن قياس العلماء لذبذبة النبات أثناء ريِّه بواسطة مُزارِع مسئول عنه؛ ثم مات الرجل؛ فقاسوا ذبذبة تلك النباتات؛ فوجدوها ذبذبة مضطربة؛ وكأن تلك النباتات قد حزنتْ على مَنْ كان يعتني بها؛ وهكذا توصَّل العلماء إلى معرفة أن النباتات لها عواطف.

وقد بين لنا الحق سبحانه أن الجمادات لها أيضاً عواطف؛ بدليل قوله عن قوم فرعون: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السمآء والأرض ... ﴾[٢]

---

١ ينظر لغة الهمس للدكتور مصطفى أحمد شحاته الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣، سلسلة العلم للجميع ، لغة الحيوان لميلسنت سلسام ترجمة الدكتور كامل منصور ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، القاهرة بتصرف و اختصار .

٢ الدخان: ٢٩

فالسماء والأرض قد استراحتا لذهاب هؤلاء الأشرار عن الأرض، فالسماوات والأرض ملتزمتان مع الكون التزاماً لا تخرج به عن مُرادات الله، وحين يأتي كافر ليصنع بكفره نشازاً مع الكون؛ فهي تفرح عند اختفائه ولا تحزن عليه.

ومادامت السماء والأرض لا تبكيان على الكافر عند رحيله؛ فلابد أنها تفرحان عند هذا الرحيل؛ ولابد أنهما تبكيان عند رحيل المؤمن.

وَقد أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ الْمُكَلَّفِينَ إِمَّا الْجِنُّ أَوِ الْإِنْسُ أَوِ الْمَلَائِكَةُ فَيَمْتَنِعُ فِيهَا أَنْ تَبْلُغَ فِي الْعَقْلِ إِلَى دَرَجَةِ التَّكْلِيفِ، بَلْ تَكُونُ عَلَى حَالَةٍ كَحَالِ الطِّفْلِ فِي أَنْ يُؤْمَرَ وَيُنْهَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُكَلَّفًا فَصَارَ ذَلِكَ مُعْجِزَةً مِنْ حَيْثُ جَعَلَهَا فِي الْفَهْمِ بِمَنْزِلَةِ الْمُرَاهِقِ، وَأَيْضًا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّه تَعَالَى وَعَلَى تَنَزُّهِهِ عَمَّا لَا يَجُوزُ.

و التسبيح نوعان :

- تسبيح تسخير كتسبيح الملائكة وغيرها من المخلوقات عدا الإنس والجن .
- تسبيح تكليف وهو تسبيح المكلفين من الإنس و الجن [1]

و قُدِّمَتِ الْجِبَالُ عَلَى الطَّيْرِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ تَسْخِيرَهَا وَتَسْبِيحَهَا أَعْجَبُ وَأَدَلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ وَأَدْخَلُ فِي الْإِعْجَازِ، لِأَنَّهَا جَمَادٌ وَالطَّيْرُ حَيَوَانٌ.

والمزيّة التي أعطاها الله تعالى لنبيه داود – عليه السلام – ليستْ في تسبيح الجبال؛ لأن الجبال تُسبِّح بطبيعتها معه ومع غيره، إنما الميزة في أنها تُردِّد معه، وتوافقه التسبيح، وتجاوبه،ويسمع صوتها، فحين يقول

---

١ ينظر من آيات الإعجاز العلمي في القرآن للدكتور زغلول النجار (٤٣٥)،(٠٤٥١) باختصار.

داود: سبحان الله تردد وراءه الجبال: سبحان الله، وكأنهم جميعاً يرددون نشيداً واحداً.

ولا نستبعد في المستقبل عمل قاموس للغة الأحجار والجمادات، وإلا فكيف ستكون ارتقاءات العلم في المستقبل؟ وهذه حقيقة أثبتها القرآن ننتظر أن يكتشفها العلم الحديث.

وَتَخْصِيصُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ ضَرُورَةً فَيَزْدَادُ يَقِينًا وَتَعْظِيمًا.

وما وهبه الله لسيدنا سليمان من فهم لغة الحيوان ،والطير ،وغيرها شيئا خاصاً به عن طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر ،لا عن طريق المحاولة والاجتهاد منه لتفهم لغة الطير وغيره عن طريق الظن، والحدس كما هو حال العلماء اليوم ، فما توصل إليه العلماء في العصر الحديث لا يتعدى مرحلة التخمين ،والحدس ،والظن، ولا يمكن أن يصل إلى درجة يقينية الإعجاز الخارقة التي اختص الله بها سليمان – عليه السلام – فمعجزته باقية خالدة إلى يوم القيامة .

وَكُنَّا فاعِلِينَ فَالْمَعْنَى أَنَّا قَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَفْعَلَ هَذَا وَإِنْ كَانَ عَجَبًا عِنْدَكُمْ وَقِيلَ نَفْعَلُ ذلك بالأنبياء عليهم السلام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ ﴾

لقد عدد الله تعالى نعمه عَلَى دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ فَذَكَرَ أَوَّلًا النِّعْمَةَ الْمُشْتَرَكَةَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَخْتَصُّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ النِّعَمِ. أَمَّا النِّعْمَةُ الْمُشْتَرَكَةُ فَهِيَ الْقِصَّةُ الْمَذْكُورَةُ وَهِيَ قِصَّةُ الْحُكُومَةِ، وَوَجْهُ النِّعْمَةِ فِيهَا أَنَّ اللَّه تَعَالَى زَيَّنَهُمَا بِالْعِلْمِ. وَالْفَهْمِ فِي قَوْلِهِ:﴿ وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً ﴾وفِي هَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ أَفْضَلُ الْكَمَالَاتِ وَأَعْظَمُهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَدَّمَ

ذِكْرَهُ هَاهُنَا عَلَى سَائِرِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ مِثْلَ تَسْخِيرِ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ وَالرِّيحِ وَالْجِنِّ. وَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ مُقَدَّمًا عَلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِهَا [١].

الفرق بين اللبوس و اللباس :

أن اللَّبوس أبلغ وأحكم من اللباس، فاللباس من نفس مادة (لبس) هي الملابس التي تستر عورة الإنسان، وتقيه الحر والبرد، كما جاء في قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحر ... } [٢] .

أما في الحرب فنحتاج إلى حماية أكبر ووقاية أكثر من العادية التي نجدها في اللباس، في الحرب نحتاج إلى ما يقينا البأس، ويحمينا من ضربات العدو في الأماكن القاتلة؛ لذلك اهتدى الناس إلى صناعة الخوذة والدرع لوقاية الأماكن الخطرة في الجسم البشري، وتتمثل هذه في الرأس والصدر، ففي الرأس المخ، وفي الصدر القلب، فإن سلِمَتْ هذه الأعضاء فما دونها يمكن مداوته وجَبْره.

إذن: اللبوس أبلغ وأكثر حماية من اللباس؛ لأن مهمته أبلغ من مهمة اللباس، وكانت قبل داود مَلْساء يتزحلق السيف عليها، فلما صنعها داود جعلها مُركَّبة من حلقات حتى ينكسر عليها السيف؛ويسهل لبسها لذلك قال تعالى بعدها: {لِتُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ ... } أي: تحميكم في حَرْبكم مع عدوكم، وتمنعكم وتحوطكم.

إذن: ألهمنا داود عليه السلام، فأخذ يُفكِّر ويبتكر، وكل تفكير في ارتقاء صَنْعه إنما ينشأ من ملاحظة عيب في صَنْعة سابقة، فيحاول اللاحق تلافي

---

١ البحر المحيط (٤٤٤/٧) تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) (٩٦١٥/١٥)

الناشر: مطابع أخبار اليوم عام ١٩٩٧ م) بتصرف .

٢ النحل: ٨١

أخطاء السابق، وهكذا حتى نصلَ إلى شيء لا عَيْبَ فيه، أو على الأقل يتجنب عيوب سابقة.

و أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ الدِّرْعَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ صَفَائِحَ قَبْلَهُ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَرَدَهَا وَاتَّخَذَهَا حِلَقًا،وقد ألان اللَّه تَعَالَى الْحَدِيدَ لَهُ يَعْمَلُ مِنْهُ بِغَيْرِ نَارٍ كَأَنَّهُ طِينٌ.

الْبَأْسُ هَاهُنَا الْحَرْبُ وَإِنْ وَقَعَ عَلَى السُّوءِ كُلِّهِ، وَالْمَعْنَى لِيَمْنَعَكُمْ وَيَحْرُسَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ أَيْ مِنَ الْجَرْحِ وَالْقَتْلِ والسيف والسهم والرمح.

وما زالت الدروع تستخدم إلى الآن في الحرب لحماية المحاربين من ضربات الرصاص وغيرها من المخاطر التي يتعرضون لها .

ثم يقول تعالى: {فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ} شاكرون الله على نعمه الذي يرعاكم ويحفظكم في المآزق والمواقف الصعبة، واختار سبحانه موقف البأس أمام العدو؛ ليعطينا إشارة إلى ضرورة إعداد المؤمن لمواجهة الكافر، والأخذ بأسباب النجاة إذا تمَّتْ المواجهة.

وهنا دلالة على أهمية الحديد حيث يقول سبحانه: {وَأَنزَلْنَا الحديد فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بالغيب إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ}[1] .

فمن ضمن منافعه للناس أن له مهمة قتالية لذلك قال: {وَأَنزَلْنَا الحديد ... } أى من أعلى مع أنه في الأصل يستخرج من باطن الأرض كما نزل القرآن،وهذا يدل على أنه إنْ كان القرآن للهداية فالحديد يُؤيِّد هذه الهداية، حيث نضرب به على أيدي الكافرين العاصين، ونحمي به صدور المؤمنين المصدِّقين.

---

١ الحديد: ٢٥

إذن فالحديد في الأرض نعمة كبيرة من نِعَم الله علينا، بها نحفظ أنفسنا من العدو، فالحق – سبحانه وتعالى – خلق الخَلْق ولم يتركه هكذا يُدبِّر أمره، إنما خلقه ووضع له قانون حمايته وصيانته، وهذا يستحقّ مِنّا الشكر الدائم الذي لا ينقطع.

ثم ينتقل السياق من الكلام عن داود إلى ابنه سليمان عليهما السلام، فيقول الحق سبحانه:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾

لا شكّ أن سليمان – عليه السلام – قد استفاد بما علَّم الله به أباه داود، وأخذ من نعمة الله على أبيه، وهنا يزيده ربه – تبارك وتعالى – أموراً يتميز بها، منها الريح العاصفة أي: القوية الشديدة {تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأرض التي بَارَكْنَا فِيهَا ... } وكأنها مواصلات داخلية في مملكته من العراق إلى فلسطين.

وفي موضع آخر قال: {رب هَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بعدي إِنَّكَ أَنتَ الوهاب فَسَخَّرْنَا لَهُ الريح تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ} [١].

رُخَآءً: أي: هيّنة ليّنة ناعمة، وهنا قال {عَاصِفَةً ... } فكأن الله تعالى جمع لهذه الريح صفة السرعة في (عاصفة) وصفة الراحة في (رخاء) ، وهاتان صفتان لا يقدر على الجمع بينهما إلا الله، فنحن حين تُسْرِع بنا السيارة مثلاً لا تتوفر لنا صفَة الراحة والاطمئنان، بل يفزع الناس ويطلبون تهدئة السرعة.

١ ص آية : ٣٥ – ٣٦ .

أما ريح سليمان فكانت تُسرع به إلى مراده، وهي في الوقت نفسه مريحة ناعمة هادئة لا تُؤثِّر في تكوينات جسمه، ولا تُحدث له رجَّة أوقوة اندفاع يحتاج مثلاً إلى حزام أمان، فمَنْ يقدر على الجمع بين هذه الصفات إلا الله القابض الباسط، الذي يقبض الزمن في حق قوم ويبسطه في حق آخرين.

ومعنى: {بَارَكْنَا فِيهَا ... } أي: بركة حِسِّية بما فيها من الزروع والثمار والخِصْب والخيرات، وبركة معنوية حيث جعل فيها مهابط الوحي والنبوات وآثار الأنبياء.

وليس تسخير الريح لسليمان أنها تحمله مثلاً، كما رأينا في (السينما) بساط الريح الذي نراه يحمل شيئاً ويسير به في الهواء، أوأنها كانت تُسيِّر المراكب في البحار، إنما المراد بتسخيرها له أن تكون تحت مراده، وتأتمر بأمره، فتسير حيث شاء يميناً أو شمالاً، فهي لا تهُبُّ على مرادات الطبيعة التي خلقها الله عليها، ولكن على مراده هو.

وإنْ كانت هذه الريح الرُّخَاء تحمله في رحلة داخلية في مملكته، فهناك من الرياح ما يحمله في رحلات وأسفار خارجية، كالتي قال الله تعالى عنها: {وَلِسُلَيْمَانَ الريح غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ... }[١] فيجوب بها في الكون كيف يشاء {حَيْثُ أَصَابَ} [٢] .

ثم يقول تعالى: {وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} أي عندنا علْم نُرتِّب به الأمور على وَفْق مرادنا، ونكسر لمرادنا قانون الأشياء فَنُسيِّر الريح كما نحب، لا كما تقتضيه الطبيعة.

---

١ سبأ: ١٢

٢ ص: ٣٦

وإن كانت الريح سخرت لسيدنا سليمان تحمله إلى حيث يشاء في زمن قصير فإن الله ﷻسخر البراق للنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السموات العلى في ليلة واحدة ، وفي العصر الحديث اكتشف الطيران حيث يقطع المسافات الطويلة في زمن قصير ، كل هذه الأشياء لا تقدح في معجزة سيدنا سليمان – عليه السلام – وفي عدم إمكان معارضتها ؛ لأن هذه الأشياء لم توجد إلا بعد عهد سيدنا سليمان بفترة طويلة ،كما أنها تخضع.

فذكر الريح وحملها لسيدنا سليمان لمسافات بعيدة في زمن قصير فيه إشارة إلى الطيران الذي اكتشف في العصر الحديث ،وهذا من قبيل الإعجاز العلمي .

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ومِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) ﴾

فبعد أنْ سخَّر الله له الريح سخَّر له الشياطين {يَغُوصُونَ لَهُ ... } والغَوْصُ: النزول إلى أعماق البحر؛ ليأتوه بكنوزه ،ونفائسه ،وعجائبه التي ادخرها الله فيه ، وقد قام الغواصون في العصر الحديث باستخراج كنوز البحر وعجائبه ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء إذ سخر الجن تقوم بهذا العمل بأمر من سليمان – عليه السلام – منذ آلاف السنين {وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلك ... } أي: مما يُكلِّفهم به سليمان من أعمال شاقة لا يقدر عليها الإنسان، وقد شرحت هذه الآية في موضع آخر حيث قال تعالى {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كالجواب وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ... }[1] فأدخل مرادات العمل في مشيئته.

---

١ سبأ: ١٣

والمحاريب جمع محراب، وهو مكان العبادة كالقِبْلة مثلاً، والجِفَان: جمع جَفْنة، وهي القَصْعة الكبيرة الواسعة التي تكفي لعدد كبير، والقدور الراسيات أي: الثابتة التي لا تنقل من مكان لآخر وهي مبنية.

وفي الجاهلية اشتهرت مثل هذه القدور عند ابن جدعان، وعند مطعم بن عدي، و قد وجد مثلها في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز .

أما التماثيل فهي معروفة، والموقف منها واضح منذ زمن إبراهيم –عليه السلام – حينما كسَّرها ونهي عن عبادتها، وهذا يردُّ قول مَنْ قال بأن التماثيل كانت حلالاً، ثم فُتِن الناس فيها، فعبدوها من دون الله فَحرِّمت.

وقد صنعت الجن التماثيل لا لغرض التعظيم والعبادة، وإنما على هيئة الإهانة والتحقير، كأن يجعلوها على هيئة رجل جبار، أوأسد أضخم يحمل جزءاً من القصر أوشرفه من شرفاته، أويُصوِّرونها تحمل مائدة الطعام. . الخ. أي أنها ليست على سبيل التقديس.

ثم يقول تعالى: {وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} حافظين للناس المعاصرين لهذه الأعمال يرونَ البشر، والبشر لا يرَوْنَهم، كما قال تعالى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ... }[1] .

أما سليمان عليه السلام فكان يرى الجنَّ ويراقبهم وهم يعملون له، حتى لا يخرجوا من أمره. وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا، وفي القصة أن سليمان كان إذا كلف شيطانا ليعمل له عملا أشغله بعمل آخر إذا فرغ من عمله قبل الليل لئلا يفسد ما عمل، وكان من عادة

---

١ الأعراف: ٢٧

الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا وأفسدوه[١].

وإن كان الجن قد سخره الله لسليمان فإن نبينا محمدﷺقد رأى الجن وقدر عليه حينما كان يلبس عليه قراءته ، وكاد أن يفسد عليه صلاته ، وأخذه الرسول وأراد أن يربطه بسارية من سواري المسجد لولا أنه تذكر دعوة سيدنا سليمان (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)[٢]، و قد ود في ذلك حديث أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فصلى صلاة الصبح، وهو خلفه، فقرأ، فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: " لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين إصبعي هاتين – الإبهام والتي تليها – ولولا دعوة أخي سليمان، لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد، يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل " [٣].

---

١ تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٣٥٢،الكشاف ج ٣ ص ١٢٩. البحر المحيط (٤٤٧/٧) تفسير أضواء البيان ج ٥ ص ٥٩٩ للمرحوم الشيخ محمد الأمين الشنقيطى، ، التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (٢٣٤/٩)، تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) (٩٦١٨/١٥) بتصرف واختصار .

٢ سورة ص :٣٥

٣ إسناده حسن، أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١١٧٨٠) (٣٠٣/١٨)، وذكره ابن بطال في شرح صحيح البخاري ، باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر(٣٥٩/٥)، وأخرجه ابن حجر في فتح الباري (باب إذا أصاب قوم من رجل هل يعاقب ؟) (٢٢٩/١٢)،و أخرجه بدر الدين العيني في عمدة القارىء باب إذا أصاب قوم من رجل هل يعاقب أو يقتص منهم كلهم ؟،(٥٦/٢٤)

والجن لا يعلمون الغيب؛ لذلك قال تعالى: { فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الموت مَا دَلَّهُمْ على مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجن أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الغيب مَا لَبِثُواْ فِي العذاب المهين}[١] .

الإعراب

وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ : أي واذكر داود وسليمان أي حالهما وقصتهما إذ يحكمان هكذا قدره جماعة من المفسرين ، قلت وهذا على أن الواو استئنافية .

وذهب بعض العلماء إلى أن قوله تعالى (وداود) معطوف على «نوحا» ومعمول لعامله المذكور[٢]، أوالمقدر[٣] ، وقد رجح هذا القول جماعة من المفسرين و منهم ابن عطية ، ورجحه ابن حيان في البحر .

(وسليمان) معطوف على داود، وإذ بدلا منهما ،«ْ يَحْكُمانِ» مضارع مرفوع بثبوت النون والألف فاعله والجملة في محل جر بالإضافة، والظرف في إذ يحكمان متعلق بما عمل في داود، أي: واذكرهما وقت حكمهما، والمراد من ذكرهما ذكر خبرهما وقصتهما. «فِي الْحَرْثِ» متعلقان بيحكمان ، ومعنى في الحرث في شأن الحرث.

وفيه جواز إطلاق الجمع على الاثنين، وهو مذهب طائفة من أهل العربية كالزمخشري والرضي، وتقدمهما إلى القول به الفراء. وقيل: المراد الحاكمان والمحكوم عليه،

---

١ سبأ: ١٤

٢ أي و آتينا داود و سليمان أي آتيناهما حكماً وعلماً. طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي (١٣٢)، تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري(٤٦٦) .

٣ أي واذكر داود .

«إِذْ» ظرف متعلق بالفعل السابق (يحكمان) «نَفَشَتْ»فعل ماض والتاء للتأنيث «فِيهِ» متعلقان بنفشت «غَنَمُ» فاعل «الْقَوْمِ» مضاف إليه «وَ» استئنافية «كُنَّا» كان واسمها «لِحُكْمِهِمْ» متعلقان بشاهدين والجملة مستأنفة «شاهِدِينَ» خبر منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم ، والجملة اعتراضية ، والضمير عائد على الذين اختصموا في الحرث ، أوعليهم و على داود وسليمان معا ، أوعلى داود وسليمان خاصة .

ذهب بعض العلماء إلى أن الإمام مالك –رضي لله عنه–:استدل بهذه الآية على أنّ أقل الجمع اثنان، ولكن المشهور عنه وعن أصحابه أن أقل الجمع ثلاثة ، وأجيب باحتمال أنْ يريد بالضمير الفاعل والمفعول معا، أي الحاكم المحكوم عليه.

وردّ بإلزام كون الضمير فاعلا ومفعولا في حالة واحدة فيكون مرفوعا منصوبا[١] .

وجملة(ففهمناها سليمان)معطوفة على «إذ يحكمان» لأنه في حكم الماضي، والضمير في «ففهمناها» يعود إلى القضية المفهومة من الكلام، «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» الفاء عاطفة و(فَهَّم) فعل ماض ،و(نا)فاعله عائد على الله –عز وجل – و(ها)مفعول به أول عائد على القضية المفهومة من الكلام ، أوالحكومة المدلول عليها بذكر الحكم ، و(سُلَيْمانَ) مفعول به ثاني ، والجملة معطوفة على ما سبق «وَكُلًّا» الواو عاطفة وكُلاًّ مفعول به أول لآتينا «آتَيْنا» فعل ماض وفاعله «حُكْماً» مفعول به ثان لآتينا

---

١ ينظر المسألة الخامسة من الباب الثالث.

قوله تعالى: {فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ ... } . : تفسير الإمام ابن عرفة لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) تحقيق: د. حسن المناعي (٢/٥٧٤).

«وَعِلْماً» معطوف على حكما والجملة معطوفة على ما سبق «وَسَخَّرْنا» الواو استئنافية وماض وفاعله والجملة مستأنفة «مَعَ» ظرف متعلق بسخرنا «داوُدَ» مضاف إليه منصوب بالفتحة لأنه اسم ممنوع من الصرف «الْجِبالَ» مفعول به لسخرنا «يُسَبِّحْنَ» مضارع مبني على السكون لا تصاله بنون النسوة والنون فاعل والجملة حال من الجبال أي مسبحات وهو الظاهر. وقيل: استئناف كأن قائلا قال: كيف سخرهن؟ فقال: يسبحن ، «وَالطَّيْرَ» بالنصب عطفا على الجبال ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح، وقيل: هو مفعول معه أي يسبحن مع الطير. وقرىء (والطير)بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مسخر لدلالة سخرنا عليه، أوعلى الضمير المرفوع في يسبحن على مذهب الكوفيين وهو توجيه قراءة شادة.

«وكُنَّا» كان واسمها «فاعِلِينَ» خبر والجملة معطوفة. «وَعَلَّمْناهُ» ماض وفاعله ومفعوله الأول والجملة معطوفة «صَنْعَةَ» مفعول به ثان «لَبُوسٍ» مضاف إليه «لَكُمْ» متعلقان بمحذوف صفة للبوس أي كائن لكم.

«لِتُحْصِنَكُمْ» مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل فاعله مستتر والكاف مفعول به وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر متعلقان بعلمناه فيكون قوله لتحصنكم تعليلا للتعليم ،ويجوز أن يكون تعليلا للكون المحذوف المتعلق به لكم . «مِنْ بَأْسِكُمْ» متعلقان بالفعل قبله «فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ» الفاء استئنافية وهل حرف استفهام، وأنتم مبتدأ وشاكرون خبر والجملة مستأنفة، والاستفهام هنا يتضمن معنى الأمر أي اشكروا الله على ما أنعم به عليكم .

«وَلِسُلَيْمانَ» الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره سخرنا «الرِّيحَ» مفعول به للفعل المحذوف «عاصِفَةً» حال من الريح

«تَجْرِي» مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء للثقل وفاعله مستتر والجملة حال ثانية «بِأَمْرِهِ» متعلقان بالفعل قبلهما «إِلى الْأَرْضِ» متعلقان بالفعل قبلهما «الَّتِي» اسم موصول محله جر صفة «بارَكْنا» ماض وفاعله والجملة صلة لا محل لها «فِيها» متعلقان بالفعل قبلهما «وَكُنَّا» كان واسمها والجملة معطوفة «بِكُلِّ» متعلقان بالخبر بعدهما «شَيْءٍ» مضاف إليه «عالِمِينَ» خبر منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم «وَمِنَ الشَّياطِينِ» متعلقان بفعل محذوف تقديره وسخرنا «مِنَ» اسم موصول في محل نصب مفعول به للفعل المحذوف سخرنا أي وسخرنا من الشياطين من يغوصون أوهي في محل رفع مبتدأ مؤخرو الخبر في الجار والمجرور قبله .

والظاهر أن من موصولة. وقال أبو البقاء: هي نكرة موصوفة، ومن الشياطين متعلقان بخبر مقدم والجملة معطوفة على ما سبق «يَغُوصُونَ» مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة لا محل لها ، وجمع الضمير في يغوصون حملا على معنى من «لَهُ» متعلقان بالفعل السابق «وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا» مضارع وفاعله ومفعوله المطلق والجملة معطوفة «دُونَ» ظرف متعلق بصفة لعملا «ذلِكَ» ذا اسم إشارة في محل جر مضاف إليه واللام للبعد والكاف للخطاب «وَكُنَّا» كان واسمها «لَهُمْ» متعلقان بحافظين «حافِظِينَ» خبر كنا المنصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم والجملة معطوفة.[1]

---

١ مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب (٤٨٠/٢) ، التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (٩٢٣/٢) ،إعراب القرآن العظيم لزكريا الأنصاري (٣٩٦) ،الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة لمحمود صافي (٥٥/١٠)، إعراب القرآن وبيانه لـمحيي الدين درويش (٣٤٩/٦) ،إعراب القرآن الكريم لأحمد عبيد الدعاس (٢٩٤/٢) .

النكات البلاغية

١ – فن جمع المختلف والمؤتلف:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ﴾ الخ وهو عبارة عن أن المتكلم يريد التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية، فالآية الكريمة في أولها ساوت بين داود وسليمان في التأهل للحكم وشركت بينهما فيه حيث قالت: ﴿إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ﴾ ثم رجح آخرها حكم سليمان حيث يقول ﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ﴾وأخبرت أن الله سبحانه فهم سليمان إصابة الحكم ففضل أباه بذلك بعد المساواة ثم التفت سبحانه، إلى مراعاة حق الوالد فقال: ﴿وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾ فرجعا بذلك إلى المساواة بعد ترجيح سليمان ليعلم الولد بذلك بر الوالد ويعرفه ما له عليه من الحق حتى إذا فكر الناظر في هذا الكلام وقال: من أين جاءت المساواة في الحكم والعلم بعد الإخبار بأن سليمان فهم من الحكم ما لم يفهمه أبوه؟ علم أن حق الأبوة وفضيلة السن ومايستتبعها من وفرة التجارب وحنكة الحياة قائمة مقام الزيادة التي رجح بها سليمان في الحكم فحصلت المساواة .

٢– الالتفات وذلك في قوله تعالى فيها ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ﴾ وأدمج في هذا الالتفات ضربا آخر من المحاسن يقال له «التنكيت» فإن النكتة التي من أجلها جمع الضمير الذي كان من حقه أن يكون مثنى هي الإشارة إلى أن هذا الحكم متبع يجب الاقتداء به لأنه عين الحق ونفس العدل وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه أنه شاهد له أي هو مراعى بعينه –عز وجل– ويجوز أن يكون جمع الضمير الذي أضيف إليه الحكم من أجل أن الحكم يستلزم حاكما ومحكوما له ومحكوما عليه فجمع الضمير لأجل ذلك[1].

---

١ –الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة لمحمود صافي (١٠/٥٨) ،إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (٦/٣٤٤) .

رابعاً : الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً: أهم نتائج البحث :

۞سورة الأنبياء من السور التي اهتمت بالتوحيد ، واثبات البعث ، والحساب ، وذكر القيامة وأهوالها ، كما أنها تعرضت لذكر قصص بعض الأنبياء بشيء من التفصيل .

۞ يبرز هذا البحث كثيراَ من الأشياء البالغة الأهمية منها :

* مدى مرونة الشريعة الإسلامية، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .
* أهمية العلم ،ومكانته ، وأن من أوتي العلم والحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .
*إن المتأمل في القرآن الكريم في قصة داود وسليمان –عليهما السلام –يتعرف على صفات الحاكم المؤمن الذي مكن الله له، وهي تحقق للقائد المصلح كمال السعادة في الدنيا والآخرة .
* أهمية القضاء بالحق، والعدل مع مراعاة مكانة الأبوة .
* يجوز أن يحكم في القضية الواحدة بأكثر من حكم ولا يكون ذلك نقض للحكم الأول بل قد يتضح للقاضي الآخر من الأدلة ،والبراهين ما لم يتضح للقاضي الأول ،وهذا هو ما يحدث في المحاكم الابتدائية، والمحاكم الاستئنافية .
*ألقى الضوء على بعض معجزات سيدنا داود، وسليمان –عليهما السلام – .
* أثبت أن كل الأشياء يقع منها التسبيح بما فيها الجمادات ، وأنه لا مانع من أن يكون تسبيح حقيقي بحروف ،وأصوات ،ولكننا لا نفقهه، ولا نعلمه ، ومن هنا تظهر قدرة الله ،وعظمته في خلقه .
* الريح جند من جنود الله وقد سخرت لسليمان – عليه السلام – تنقله إلى حيث يشاء .
* إظهار مكانة نبينا محمد ﷺ وحفاظه على استجابة دعوة أخيه سليمان–عليه السلام–

* ظهر في ثنايا هذا البحث بعض جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

* برهن هذا البحث على أن الجن لا يعلم الغيب ، فلا يعلم الغيب إلا الله .

ثانياً :أهم التوصيات .

وبعدفإني أوصي الباحثين و الباحثات بالعكوف على دراسة كتاب الله تعالى ؛لاستخراج ما فيه من حكم وأحكام ، مع بيان إعجاز القرآن الكريم ،وأنه صالح لكل زمان ومكان؛ لأنه لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ،كما أوصي الحكام بالعدل بين الناس ، وتفقد أحوال رعاياهم .

الاهتمام بالعلم ،وتقدير العلماء ؛إذ بجهودهم تتقدم الأمم وترتقي .

خامساً :فهرس المصادر حسب ورودها في البحث .

١-القرآن الكريم جل من أنزله .

١- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢- الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٣- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس ،سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

٤- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)المحقق: محمد باسل عيون السود ،الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٥- طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم لعبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (المتوفى: ٧٨٢هـ) المحقق: أحمد محمد عزوز الناشر: المكتبة العصرية - صيدا بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٥- شرح طيبة النشر في القراءات لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة ،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٧- الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم (شرح واف لمتني الجزرية وتحفة الأطفال) لأحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان ،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٨- مقدمات في علم القراءات لمحمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور (معاصر) الناشر: دار عمار - عمان (الأردن) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٧- شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (المتوفى: ٨٥٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .
٨- القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
٩- الكنز في القراءات العشر لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: د. خالد المشهداني ،الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
١٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ
١١- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دارإحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ
١٢- الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
١٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
١٤- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)

المحقق: تصحيح محمد علي شاهين ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ .

١٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

١٦- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل ،الناشر: دار الفكر – بيروت ،الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

١٧- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود ،الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

١٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

١٩- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ،دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية

٢٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي ،الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ،عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .

٢١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار ،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،عام النشر:١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٢٢- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي ،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

٢٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي ،الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ،الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٢٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ـ

٢٥- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٦- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ،عام النشر: ١٢٨٥ هـ

٢٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه و المعروف بصحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ.

٢٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)
المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٩- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب

الدار السلفية ببومباي – الهند ،الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٣٠- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف لجمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: عبد الصمد شرف الدين ،طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة ،الطبعة: الثانية: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م

٣١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

٣٢- الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت بدون سنة الطبعة .

٣٣- زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي

٣٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي
الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق ،الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

٣٥- معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م .

٣٦- الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة لعاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ) الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

٣٧- ينظر تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الناشر: دار التراث – بيروت،الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ .

٣٨- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)الناشر: دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٣٩- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين ،الناشر: دار الهداية .

٤٠- مجمل اللغة لابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ،دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٤١- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،الناشر: دار ومكتبة الهلال .

٤٢- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٤٣- مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد ،الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٤٤- القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٤٥- الأساليب والإطلاقات العربية لأبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي ، مصر ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .

٤٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٤٧- تفسير الإمام ابن عرفة لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) تحقيق: د. حسن المناعي ،الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس ،الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م .

٤٨- الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد

بكلية الآداب – جامعة الكويت ،الناشر: دار الشروق – بيروت ،الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .

٤٩- العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي (المتوفى: ٤٥٥هـ) المحقق: (الدكتور زهير زاهد – الدكتور خليل العطية)(كلية الآداب – جامعة البصرة)الناشر: عالم الكتب، بيروت ،عام النشر: ١٤٠٥هـ

٥٠- تحبير التيسير في القراءات العشر لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة ،الناشر: دار الفرقان – الأردن عمان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ،

٥١- في ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)

الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة ،الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ .

٥٢- لغة الهمس للدكتور مصطفى أحمد شحاته الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣، سلسلة العلم للجميع ،

٥٣- لغة الحيوان لميلسنت سلسام ترجمة الدكتور كامل منصور ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، القاهرة بتصرف و اختصار

٥٤- لغة الهمس للدكتور مصطفى أحمد شحاته الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣، سلسلة العلم للجميع .

٥٥- لغة الحيوان لميلسنت سلسام ترجمة الدكتور كامل منصور ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، القاهرة .

٥٦- من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم للدكتور زغلول راغب محمد النجار ،طبعة دار المعرفة (بيروت – لبنان)

٥٧- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل

الناشر: دار الفكر – بيروت ،الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

٥٨- تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)
الناشر: مطابع أخبار اليوم عام ١٩٩٧.
٥٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي ،الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،الطبعة: الأولى ١٩٩٧.
٦٠- شرح صحيح البخارى لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ،دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م
٦١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ،قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
٦٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٦٣- **مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: د. حاتم صالح الضامن ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ه .**
٦٤- **التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) المحقق : علي محمد البجاوي ،الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه**
٦٥- **إعراب القرآن العظيم لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)حققه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير) الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .**
٦٦- **الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت ،الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ .**

٦٧- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ .

٦٨- إعراب القرآن الكريم لأحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم ،الناشر: دار المنير ودار الفارابي - دمشق ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ .